الكتاب الثانى

297.09
B16aA
C.1

# الأنصار والإسلام

تأليف

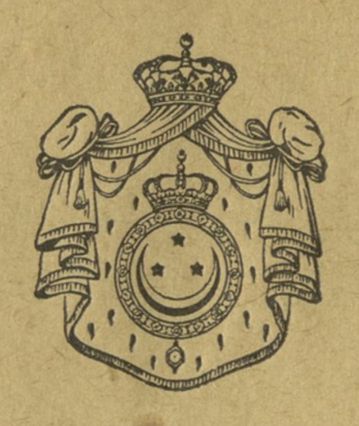
الدكتور عبد الدايم أبو العطا البقرى

---

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥ م

https://archive.org/details/@user082170

https://archive.org/details/@user082170



مولاى صاحب الجلالة !

أتشرف بأن أرفع إلى جلالتكم الكتاب الثانى ، عما قدمه الأنصار نحو الإسلام ؛ فآووا محمداً عليه السلام ، ونصروا دين الله ، وقد شجعنى على ذلك ، تفضلكم بقبول جلالتكم الكتاب الأول .

وعما قريب يا مولاى ! وأنتم النصير الأول ، للعروبة وللإسلام ، سيكون لى كبير الشرف ، بأن أرفع إلى جلالتكم الكتاب الثالث ، عما قدمه أحفاد الأنصار ، للعروبة عامة ، ولمسلمى مصر خاصة ، فى ظل عطفكم السامى ، ولفتاتكم الملكية الكريمة ، التى تحبوهم بها جلالتكم ، فى كل مناسبة إسلامية ، وذكرى أنصارية .

١١ فبراير سنة ١٩٤٥

صادق الولاء

عبد الدايم أبو العطا البقرى

https://archive.org/details/@user082170

# الفهرس الإجمالى لأبواب الكتاب



https://archive.org/details/@user082170

## كلمة . . .

## لماذا أسلم الأوس والخزرج من بين العرب كافة ؟

---

### ا — رأى المؤرخين المسلمين :

١ — أولاد قيلة يسلمون ليسبقوا اليهود (رأى الطبرى وابن خلدون) .

٢ — نقدات !

### ب — رأى المؤرخين المستشرقين :

٣ — الأوس والخزرج يسلمون طلبا للثروة التجارية :

«رأى المستشرق الفرنسى O. Houdas » .

٤ — نقدات ونقدات ! !

٥ — أولاد قيلة يسلمون لاعتقادهم أنه النبى الذى أنذرهم به اليهود :

ا — رأى المستشرق الإنجليزى أرنولد Arnold .

ب — رأى المستشرق الإنجليزى سل Sell .

حـ — رأى المستشرق الايطالى إيتالو بتسى Italo Pizzi .

### حـ — فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع يقرران سبب إسلام الأنصار :

٦ — بيئة المدينة بيئة يهودية .

٧ — أولاد قيلة يمتزجون ببنى إسرائيل .

٨ — اليهود قوم محافظون .

٩ — اليهود سادة المدينة ماديا وروحيا .

١٠ — لماذا لم يتهود أولاد قيلة ؟

١١ — الأوس والخزرج عقلية جديدة ، وجيل جديد

١٢ — على أية صورة يريد أولاد قيلة نبيهم المنتظر ؟

١٣ — محمد جماع ما يريد الأوس والخزرج .

١٤ — لبيك ... يا رسول الله لبيك ... ! !

https://archive.org/details/@user082170

# كلمة ...

أما لماذا أسلم الأوس والخزرج ، من بين العرب كافة ، فأضحوا أنصار[1] الله ؟

أما لماذا قدم أولاد قيلة[2] ، أبناءهم ، وأنفسهم ، وأموالهم ، وقوداً لنشر دعوة محمد ، فآووه ونصروه ؟

فإليك ما حدثنا به علماء التاريخ مسلمين ومستشرقين ، وإليك ما تقرره فلسفة التاريخ ومبادىء علم الاجتماع : —

## ١ — رأى المؤرخين العرب والمسلمين

### ١ أولاد قيلة يسلمون ليسبقوا اليهود

يُجمع ثِقات التاريخ الإسلامى ، وعلى رأسهم الطبرى وابن خلدون ؛ على أن محمداً عليه السلام لما قابل الرعيل الأول من الخزرج دعاهم إلى الإسلام :

« وكان من صنع الله لهم ، أن يهود كانوا معهم ببلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وأولاد قيلة أهل شرك ، وأصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم :

إن نبيا يُبعث الآن ، وقد أظلنا زمانه ، وسنتبعه ، ونقتلكم معه قتل عاد وإرم .

---

(١) هو اسم إسلامى ، أطلق على من كان منهم بيثرب ، ونصر النبى .
قال غيلان بن جرير : قلت لأنس بن مالك : يا أبا حمزة ! أرأيت اسم الأنصار اسم سماكم الله به ، أو اسم كنتم تسمون به ؟ قال : بل اسم سمانا الله به ، وقال قتادة : هو اسم سماهم الله به فى قوله : كونوا أنصار الله ... (الاستبصار فى أنساب الأنصار . خطى رقم ٣٤٩ تاريخ ، بدار الكتب المصرية ، والسمهودى ، ص ١٢٥ .

(٢) قيلة هو اسم لأم الأوس والخزرج ، وقد أطلق عليهم .

https://archive.org/details/@user082170

فلما كلم رسول الله ذلك النفر من الخزرج ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض : أتعلمُنَّ ؛ والله ، إنه للنبيّ الذى توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم إليه ، فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام[١] .

ويرى ابن خلدون رأياً لا يختلف عن سابقه[٢] .

كما يرى ذلك أيضاً معظم مؤرخى الإسلام[٣] .

## ب — رأى المؤرخين المستشرقين

الأوس والخزرج يسلمون طلبا للثروة التجارية

ويقول أوداس المستشرق الفرنسى O. Houdas فى كتابه الإسلام[٤] :

إن محمداً بعد بعد موت أبى طالب عمه ، أخذ يبحث عن معين له ، إذ بعد عشر سنوات من بدء الدعوة ، ظل المسلمون قليلين ، وكان بالقرب منه مدينتان ، يمكنهما أن تمدا إليه يد المساعدة ، وهما : الطائف ويثرب .

(١) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٣٤ .

(٢) ابن خلدون ج ٢ ص ١١ .

(٣) نظرات

ومعنى هذا : أن أولاد قيلة قد آمنوا بمحمد ، اعتقادا منهم بصدق اليهود فحسب !
فهل كانوا مصدقين حقا لبنى إسرائيل فيما يقولون ؟ !
ولماذا لم يتهودوا إذاً ؟ !
وإذا كانوا قد بايعوا محمداً معتقدين صدق اليهود لا غير ، فلم يكن لديهم استعداد روحى لقبول الدعوة ! ولم يتأثر وجدانهم بآى القرآن ، وحديث محمد ! فلماذا لم يتركوا محمدا عندما لم تعترف به اليهود ؟ وعندما أنكرته ، وتألبت عليه ، وناصبته العداء ؟!
هذه أضواء نرسلها على رأى مؤرخى العرب والمسلمين ، ليظهر ما فيه من قوة ، ويتضح ما فيه من فتور .

(٤) L'Islamisme — Paris — Dujarrec Editeurs 1904 pag. 35 .

فأما سكان الطائف ، فقد رفضوا مساعدته خوفاً من دخولهم فى حرب ضد القوة المجاورة لهم بمكة ، سيما أنهم كانوا حينئذ أغنياء ، ولن ينتفعوا بشىء من هذه الحرب ضد المسكيين لمساعدة المسلمين .

أما يثرب فكانت على العكس من ذلك ، لهذا أظهر سكانها رضاهم عن دعوة محمد ، عند مقابلتهم إياه بمكة ، فاعتنقوا دينه الجديد ، عازمين على الدعوة له ، بين ربوع يثرب عند رجوعهم إليها .

وكانت يثرب حينئذ ، بيئة جد ملاءمة لغرض محمد ، إذ كانت تغار من مكة ، وتحسدها على التجارة ، التى يحضرها الحجاج معهم إليها ، مع فقدان الصناعة من يثرب ، وضآلة الزراعة بها ، ثم يقول حرفيا :

«ولهذا كان طبيعيا أن تتهافت يثرب على أن تستقبل مكيـًا ، من إحدى عائلاتها النبيلة ، والذى يعتبر مؤسساً لدين جديد ، فيمكنه تحت هذا الستار نقل المركز الدينى القديم لشبه الجزيرة العربية ، كما ينقل إليها أيضاً الثروة التجارية ، التى لا يمكن خلقها فيها بأى سبب آخر » .

"Il était donc tout naturel qu'elle mit un grand empressement à acceuillir un Mecquois d'une noble famille qui se présentait comme le fondateur d'une nouvelle réligion et qui à ce titre pouvait déplacer l'ancien centre réligieux de l'Arabie et attirer dans ses murs la prospérité commerciale qu'elle n'avait aucune chance d'acquérir d'une autre façon [1].

---

(١) نقدات ونقرات

ولكن . . . هناك نقدات كثيرة ، يمكن أن توجه إلى هذا الرأى ، وهى :

١ — إن الخزرج الستة ، الذين أسلموا بالعقبة الأولى ، لم يدر بخلدهم بتاتاً أن محمدا سيهاجر إلى يثربهم ، حتى يمكن أن يفهموا أنها قد تصبح فيما بعد مركزاً للدين الجديد إذا ما تحول إليها الحجاج .

=

أولاد قيلة يسلمونه لاعتقادهم أنه هو النبي الذى أنذرهم به اليهود

ا — أما أرنولد T. W. Arnold B. A. المستشرق الإنجليزى فى كتابه «التبشير بالإسلام»[1] فيرجع سبب إسلام الخزرج الستة ؛ إلى معنى قريب من المعنى الذى تحدث به مؤرخو العرب فيقول :

«إنه حين محادثة محمد للخزرج عن الإسلام بآيات من القرآن، قال بعضهم لبعض : إعلموا عن يقين أن هذا هو النبى الذى أنذرنا به اليهود ، تعالوا لنسرع ، ونكن أول من يتبعه . وبهذا آمنوا بما حدثهم به واعتنقوا الإسلام»

= ٢ — إن الهجرة قد فرضت على المسلمين فرضاً ، عند ما ضاق محمد ذرعا بقريش ، وعند ما تآمرت على قتله ، فلم تُرسم لذلك خطة ، لا منهم ولا منه ، ولو أنه ظهر احتمالها عند بيعة العقبة الكبرى .

٣ — إن جميع مسلمى المدينة ، كانوا يتجهون فى صلواتهم إلى بيت المقدس أولا وإلى الكعبة أخيرا ، ولم تكن المدينة يوما ما ، المكان المقدس الذى سوف يتجهون إليه .

٤ — لم يفهم من حديث محمد عليه السلام ، قبل الهجرة وبعدها ، أن قد تصبح المدينة مسعى الحجيج فيما بعد ، بل بالعكس عمل محمد والأنصار معه ، على أن يحجوا إلى الكعبة بمكة ، حتى قبل فتحها ، وقد ظهر ذلك فى غزوة الحديبية .

٥ — لم يرو المؤرخون : أن الأنصار أشاروا على محمد بجعل المدينة مركزا للحج .

٦ — لم يتحدث المنافقون بالمدينة — وما أكثرهم — عن خيبة الأمل التى لاقاها الأنصار حين إخفاقهم فى جعل المدينة قبلة لحجاج العرب أجمعين ؛ إذا كان ذلك مأربهم .

وبهذه النقدات ينتفى حتما أن يكون إسلام الأوس والخزرج عملية تجارية ، يراد بها نقل المركز الدينى ، من مكة إلى يثرب ، والذى يتبعه بكل تأكيد ، أن يحج إليها جميع قبائل شبه الجزيرة ، ومعهم تجاراتهم التى بها يربحون ، وثرواتهم التى منها ينفقون ، مما يزيد فى ثروة يثرب ، ومما يضاعف من دخل الأوس والخزرج .

(١) The preaching of Islam — Westminster — Archibald Constable e Co 1069 pag. 16.

"Know surely that this is the Prophet of whom the Jews have warned us, come let us now make hasta and be the first to join him„ So they believed in what he preached into them and embraced Islam".

ب — وقال كانون سل Rev. Canon Sell المستشرق الإنجليزى ، معنى قريباً مما قاله أرنولد فى كتابه : حياة محمد(١) .

حـ — وقال إيتالو بتسى Italo Pizzi المستشرق الإيطالى فى كتابه الإسلام(٢)

« إن يثرب كانت مهداً قديماً لليهود ، ولهذا سمع كثير من سكانها منهم بمجىء يوم يبعث فيه رسول يجدد العالم ، ولذلك سهل على عرب يثرب الاعتقاد بأن ذلك النبى المنتظر ، قد يكون هو محمد بن عبد الله هذا ، الذى يبشر بإله واحد ، وينفر من عبادة الأوثان » :

"Yatrib era antica rezioleusa di Giudei e poiché in essa molti avevano più volte vinteso da loro della venuta un giorno d'un novello profeta che doveva ruinnovare il mondo, cosi essi facilmente furano indotti a poter credere che quel profeta fosse appunto il giovane figlio di Abdallâh che predicava contro il culto degli idoli" (٣) .

## حـ — فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع يقرران سبب إسلام الأوس والخزرج

ولكن فلسفة التاريخ ، ترسل أضواء جديدة ، فتبرز من ثنايا أشعتها

(١) The life of Muhammad The Cristian Literature Society for India-London Madras and Colombo 1913 pag. 71 .

(٢) L'Islamismo Ulrico Hoepli—Milano 1903 pag,92 .

(٣) وهذا قريب الشبه برأى أرنولد وسل السابقين ، وهى جميعاً قريبة الشبه برأى مؤرخى العرب ، وقد سبق نقده بالمقدمة ص ط

https://archive.org/details/@user082170

مقدمات منطقية ، بها تستعين مبادئ علم الاجتماع و نظرياته ، فتستنبط وتقدم رأياً جديداً ، وها هي ذي المقدمات ، التي تقفز على أثرها النتيجة . . .

٦ **بيئة المدينة بيئة يهودية**

فمما لا نزاع فيه : أن اليهود كانوا موجودين بيثرب ، قبل هجرة الأوس والخزرج إليها ، ومما لا نزاع فيه كذلك : أن اليهود كانوا أصحاب يثرب ، ومالكي تجارتها ، وزراعتها ، ورءوس أموالها .

ومما لا نزاع فيه أيضاً : أن اليهود كانوا أصحاب النفوذ ، وقادة الكلمة .

ومما لا نزاع فيه أخيراً : أن بنى إسرائيل كانوا أساطين المجتمع اليثربى ، فهم القادة الروحيون ، وهم أصحاب المعابد ، وهم المهيمنون على المدارس ، التى يعلمون فيها أبناءهم الدين اليهودى ، لينشروا الرسالة الموسوية ، وليجاهدوا فى تأسيس دعوة بنى إسرائيل .

ولهذا كانت بيئة المدينة حينئذ بيئة يهودية ، شبه خالصة فى تجارتها ، وماليتها ، وزراعتها ، وسياستها .

كما كانت بيئة يهودية تامة الأركان ، واضحة المعالم ، فى حياتها الاجتماعية والروحية ، تنتشر فيها تعاليم بنى إسرائيل ، وتحتل أجواءها مبادىء التلمود

٧ **الأوس والخزرج يمتزجون ببنى اسرائيل**

وأكثر من هذا . . . فنحن نرى : اليهود تمتزج بأولاد قيلة ، فتتخذ منهم عمالا ومزارعين ، وتصطفى منهم أعوانا على إنجاز أعمالهم ، ومساعدين على مضاعفة أموالهم .

ونرى : الأوس والخزرج ، قبل مجىء محمد إليهم بقليل يتخذون من اليهود أعواناً ونصراء ، في حربهم ضد بعضهم ، يساعدونهم بالمال وبالعتاد وبالرجال .

https://archive.org/details/@user082170

ونرى : اليهود تقدم فتيانها رهينة لدى الخزرج ، حتى يطمئنوا إلى أنهم لن يكونوا مع الأوس ضدهم .

ونرى : الرهائن تدخل بيوت الخزرج تواكلهم على موائدهم ، وتجلس مجالسهم ، وتفكر بمقاييس تفكيرهم ، وتعيش وفق تقاليدهم وعاداتهم .

ونرى : محالفات اليهود مع أولاد قيلة ، هي محالفات بالمال وبالنفس وبالفكر وبالعلم . . . إذ كان هدف المتحالفين ، هو تجنيد كل ما لديهم من قوى مادية وروحية ، ليصلوا إلى النصر .

وكان من أسس التحالف بين القبائل العربية ، الامتزاج نوعاً ما ، في العادات وفي التقاليد ، ولهذا نرى أبا جهل عند ماأراد التحايل ، ليُحِلَّ قريشاً من حلفها مع الأوس يقول لهم : إنا قوم تخرج إماؤنا إلى أسواقنا ، ولا يزال الرجل منا يدرك الأمة فيضرب عجيزتها ، فإن طابت أنفسكم أن تفعل نساؤكم مثل ما تفعل نساؤنا حالفناكم ، وإن كرهتم ذلك ، فردوا إلينا حلفنا ، فقالوا : — وكانوا ذا غيرة شديدة على نسائهم — لا نقر بهذا ، وردوا إلى قريش حلفها .

وفعلا كان المجتمع اليثربي ، مجتمعاً ممتزجاً بعضه ببعض تمام الامتزاج[1] ومختلطة عناصره تمام الاختلاط ، سواء منهم الأوس والخزرج أو اليهود .

**اليهود قوم محافظون**

واليهود بطبعهم قوم محافظون على تقاليدهم وعاداتهم ، فهم دائماً وأبداً محتفظون بعناصرهم الأساسية كجماعة ، وبخصائصهم الذاتية كعنصر من الناس ، إخلاصهم للفكرة اليهودية ، واتباعهم للتقاليد الإسرائيلية ، ومحافظتهم على الشريعة الموسوية ، وتمسكهم بالسنن الروحي ، الذي ورثوه

(١) سيما أيام حرب بعاث .

جيلا بعد جيل ، كان ذلك من أهم خصائصهم ، مهما اختلفت البيئات ، وتغيرت الأوطان .

وكذلك نرى : أن من خصائص اليهود القوية ، مقدرتهم على أن يُلبسوا هذه التقاليد ، وتلك العادات ، أى لبوس مظهرى فحسب ، حتى تتشاكل هذه التقاليد مع البيئة التى يعيشون فيها ، وحتى تنسجم تلك الطقوس مع كل جماعة ينزلون بين ظهرانيها .

ومما لا ريب فيه أنهم مع محافظتهم هذه ، فقد عملوا كل ما يمكن لنشر دينهم بين العرب ، وبث تقاليدهم بين الأوس والخزرج ، وحاولوا أن يكونوا مثلا لهم فى تذليل مشاكلهم الاجتماعية — وكثير ما هى — مهتدين بتعاليمهم الدينية ، وهى كل مالديهم من ثقافة وعلم .

اليهود سادة المدينة ماديا وروحيا

واليهود كانت بيدهم — ولا شك — السيادة المادية ، والغلبة السياسية ليثرب ، كما كانت بيدهم كذلك السيادة الروحية للمجتمع اليثربى ، فكان منهم العلماء ، وأصحاب الكتاب ، ومعلموا المدارس ، وأئمة المعابد التى فيها يعبدون الله ، الواحد الأحد ، والتى بها ينشرون فكرة التوحيد للإله الفرد الصمد .

كما أنهم — بلا شك — قد تناقشوا مع الأوس والخزرج فى قضايا الدين ، وتجادلوا معهم فى كثير من المسائل الإلهية ، التى هى أصول لكل الديانات ، كما هى أصول للديانة الإسرائيلية .

وقد حاول الأوس والخزرج — بلا شك أيضاً — أن يفهموا قضية الإله الواحد الأحد ، الذى ليس له مكان ، والذى لا رمز له من صنم أو حجر .

https://archive.org/details/@user082170

ومما لا شك فيه كذلك واليهود قوم سائدون ماديا وروحيا ، وأولاد قيلة مسودون ماديا وروحيا أيضاً ؛ أن الأوس والخزرج حاولوا تقليدهم ومتابعتهم ، إذ المغلوب دائماً كما يقول ابن خلدون وعلماء الاجتماع : مولع بتقليد الغالب ، ومتابعة الأقوى .

ومما لاشك فيه أيضاً : أن بعض الأوس والخزرج ، قد أغرم باليهودية ، كما أن بعضاً منهم قد تأثر بالروح الاسرائيلية فتكلم بالتوحيد[١] .

ومما لا شك فيه أخيراً : أن هناك أسباباً قوية ، واضحة ، جعلت جمهرة الأوس والخزوج لا يتهودون . فما هى هذه الأسباب إذاً ؟

## لماذا لم يتهود أولاد قيلة ؟

١٠

نعم . . . لم يتهود الأوس والخزرج — مع وجود هاته العوامل السابقة التى كانت تدفعهم للتهود — للأسباب الآتية :

١ — إن أولاد قيلة ما كان يرضيهم — كشأن كل كائن حى — أن يفنوا شخصيتهم فناء كليا ، فيهضمهم مجتمع آخر ، يطمعون فى أن ينافسوه ويظهروا عليه ، لأن اليهود ، ولو أنهم سادة يثرب ، ولكنهم أعداء الأوس والخزرج ، وما محالفة اليهود مع بعضهم ضد البعض ، إلا عملٌ على إفنائهم ؛ وطريق سهل لإبادتهم .

٢ — إن الدين اليهودى دين غريب نازح إليهم ، فهو ليس بعربى ؛ وأولاد قيلة لم يخالطوا دعوته ، ولم يروا تأسيسه ، ولم يلمسوا مدى مجالدة زعمائه لأتباعهم فى بث دعوتهم ، ولم يلحظوا مدى إخلاص النبي موسى لدينه

---

(١) يحدث المؤرخون أن أسعد بن زرارة وأبا الهيثم بن التيهان كانا يتكلمان بالتوحيد بيثرب ، ولذلك لما أسلم سعد ورجع إلى المدينة ، وأخبر أبا الهيثم بإسلامه ؛ وذكر له أمر الرسول ، قال أبو الهيثم : إنى أشهد معك أنه رسول . « الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٥٢ » .

٣ — والدين دائماً وأبداً ، له حجج ومعجزات ، ووسائل للتفهيم والتدليل ، يقنع بها زعماؤه أتباعهم ، وهذه الحجج وتلك المعجزات ؛ لا بد أن تكون ملائمة لطبيعة الأتباع المدعويين ، ومشتقة من مزاجهم ، ومتفقة مع المثل العليا التى يعتقدونها ، ويتشبثون بها .

ومما لا نزاع فيه أن حجج ومعجزات الدين اليهودى ، تخالف مخالفة تامة طبيعة العرب ، وغير متفقة بتاتاً مع المثل العليا ، التى خلقوها لأنفسهم

٤ — اليهود كانوا سادة المجتمع اليثربى ماديا وروحيا ، وأولاد قيلة قبيل مجىء محمد إليهم أرادوا مناهضتهم ومساواتهم ، بل عملوا على القضاء عليهم ، حتى يكون لهم كيان مستقل ووحدة قائمة بذاتها ، وقد نجحوا فى ذلك بعض الشىء على يد أبى جبيلة الغسانى ، ومالك بن العجلان الخزرجى كما سيأتى بعد .

فكيف يقبلوا الآن أن يلغوا أنفسهم نهائياً ، ويعتنقوا دينهم ، ليصبح اليهود لهم سادة روحيين ، وقادة دينيين ؟

لا . . . لا . . . لن يكون هذا أبداً . . .

وعليهم إذاً ... أن يخلقوا مجتمعاً روحيا كمجتمعهم ، وعليهم أن يعملوا ليبعثوا بيئة كبيئتهم ، حتى ينشأ كل استقلالهم الروحى مع استقلالهم المادى .

١١ **إذاً الأوس والخزرج جيل جديد ، وعقلية جديدة**

فأنت ترى إذاً . . . أن الأوس والخزرج أضحوا جيلا جديداً ، ذا عقلية جديدة ، وبيئة اجتماعية جديدة ، فلهم تفكير خاص ، ومزاج خاص ، وعقلية خاصة ، ومستوى روحيا خاصا .

نعم . . . هى عقلية العربى الوثنى ، الذى يعبد الصنم ويقدم القرابين

https://archive.org/details/@user082170

بين يدى الحجر ، وبين عقليـــة اليهودى الروحى ، الذى يعبد الإله الواحد الأحد .

نعم . . . إن الأوس والخزرج قد امتزجوا بالعقليتين ، وتلقحوا بلقاح البيئتين ، فخلص بينهم ولهم مجتمع وسط بين المجتمعين ، إن لم يكن مجتمع قد استخلص أحسن ما فى العقليتين ، فأضحى لديهم استعداد خاص لفهم المشاكل الدينية ، والعقائد الروحية ، لا يوجد لدى العرب الآخرين ، الذين لم يتعلموا ما تعلم الأوس والخزرج ، والذين لم يروا ما رأوا ، ولم يجادلوا مثل ما جادلوا ، ولم يناقشوا كما ناقشوا ، ولم . . .

بل نرى أن هذا الاستعداد نفسه لا يوجد حتى لدى اليهود أنفسهم ، لأنهم لا يشعرون بالنقص حيث هم سادة المجتمع ، ولأن لديهم ديناً من السماء ، ولأنهم يعملون ليتزعموا العرب ، لا ليتزعمهم العرب .

إذاً . . . أولاد قيلة لديهم استعداد خاص لقبول الدعوة الدينية ، وتتأرجح بين نفوسهم وضمائرهم ، أسباب تدعوهم لقبول الرسالة الإلهية .

**اذاً على أية صورة يريد أولاد قيلة نبيهم المنتظر ؟ ؟** ١٢

نعم . . . ولهـذا يريد أولاد قيلة — لو تحسسنا ما يخالج ضمائرهم وما يجول بنفوسهم — أن يكون نبيهم المنتظر على الصورة الآتية :

١ — يريدون نبيا عربياً ليكون دينهم ديناً عربيا كذلك .

٢ — ويريدون ديناً يخاطب سذاجتهم العربية ، وفطرتهم البدوية .

٣ — ويريدون دعوة دينية ، ترفعهم من وهدة الوثنية المطلقة ، إلى مصاف الروحية ، التى شغفهم بها اليهود حبا .

٤ — ويريدون نبيا ورسولا يحاجهم ويعجزهم ، بوسائل على شاكلة

https://archive.org/details/@user082170

وسائلهم فى الحياة الرفيعة ، وعلى نمط مثلهم العليا ، التى بها يفقهون ويتفاخرون .

٥ — ويريدون رسولا يجتمع فى شخصه الصدق والحق والأمانة ، والفذاذة عن مخالطيه من بنى قومه وعشيرته .

٦ — ويريدون رسولا يجمع كلمتهم ، ويوحّد رأيهم ضد اليهود .

٧ — ويريدون نبياً يجمع شملهم ، ويوحّد جماعتهم ضد أنفسهم ، فلا يتحاربون ، ولا تتخذهم اليهود مطايا لإفناء بعضهم البعض[(١)] .

**محمد جماع ما بين الأوس والخزرج**

نعم ... فكل ما يطلبه الأوس والخزرج ، وجميع ما يريدون ، هم الآن يلمسونه بأيديهم ، ويرونه رأى العين .

نعم :

١ — فمحمد عربى ، آباؤه سادة قريش ، وأخواله بنو النجار الخزرجيون

٢ — ومحمد يخاطبهم ويفهّمهم ويعجزهم بلسان عربىّ مبين .

٣ — ومحمد ينتشلهم بآيه وقرآنه من هذه الوثنية التى أصبحوا يخجلون منها .

٤ — ومحمد يرفعهم إلى مصاف الروحية ، التى كانوا يتطلعون إليها ، ويحسدون اليهود عليها .

٥ — ومحمد يعرفون عن ماضيه الأمانة ، والطهارة والتحنث ، والبعد عن الدنايا .

---

(١) وأليس كل ذلك ، هو مايسميه علماء التوحيد ، ورجال اللاهوت ، بالأرهاص والاستعداد الروحى والفكرى ؟؟



https://archive.org/details/@user082170

٦ — ومحمد يعرفون فيه الصدق فى القول ، والإيمان بالفكرة ، حتى أن قائلهم يعلن عند ما يراه : والله ما هذا بوجه كذاب ! !

٧ — ومحمد يسمعون قرآنه فيتأثرون به ، ويحسون جلاله ، فيقولون : ما يقول هذا بشر !

٨ — ومحمد خلاصة بنى هاشم ، وبنو هاشم خلاصة قريش ، وقريش صاحبة السيادة على العرب جميعاً ، وحامية الكعبة التى تحج إليها قبائل شبه الجزيرة .

٩ — ومحمد سنأخذه إلى مدينتنا نحن ، وسيصبح قائدنا نحن ، ولن يستأثر به أحد دوننا ، وسنفاخر به اليهود خاصة ، والعرب عامة .

١٠ — ومحمد هو الذى سينافح عن الدعوة ضد مفتريات اليهود ، وهو الذى سيدمغ باطلهم فيزهق ، وسيرسل كلمة الحق داوية فتعلو .

١١ — وأخيراً محمد هذا ، هو الذى سيجمع كلمتنا ، ويوحّد رأينا ، ومتى أصبحت كلمة الأوس والخزرج مجتمعة ، فلن تعلو كلمة على كلمتهم ، ولن ترتفع راية فوق رايتهم .

## ١٤ لبيك يا رسول الله لبيك . . .

نعم . . . يتذكر الأوس والخزرج كل هذا . . . عند ما يرون محمداً ، ويسمعون قرآن محمد .

نعم . . . يتذكرون كل ذلك . . . عند ما تصافح قلوبهم ، هذا النور الذى ظلت نفوسهم تبحث عنه أياماً وليالى سويا .

نعم ... يذكرون كل هذا ... عند ماتلامس ضمائرهم هذا القبس الذى ظلت تتطلع إليه من الشرق عند كل صباح .

https://archive.org/details/@user082170

نعم . . . يذكرون كل هذا عند ما يرون محمداً بالعقبة وبوديان مكة ، فيقول لهم :

أشترط لربى : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً .

وأشترط لنفسى : أن تمنعونى ما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

نعم يتذكرون كل هذا . . . فيقولون بكل ما فيهم من قوة ، ويهتفون بكل ما وقر فى ضمائرهم من إيمان :

لبيك يا رسول الله لبيك . . .

لبيك . . . لبيك . . .

https://archive.org/details/@user082170

https://archive.org/details/@user082170

# الباب الأول

## الأوس والخزرج وسبب هجرتهم إلى المدينة

---

١ — الأنصار قحطانيون

٢ — الأنصار أزديون

٣ — نسب الأنصار

٤ — هجرة الأوس والخزرج إلى يثرب

٥ — الهجرة قبل سيل العرم

٦ — أو بعد سيل العرم

٧ — ترجيح وتدليل

٨ — متى كانت الهجرة تقريباً ؟

https://archive.org/details/@user082170

# الباب الاول

## الأوس والخزرج وسبب هجرتهم إلى المدينة

---

١ **الأنصار يمنيون قحطانيون**

لا خلاف بين المؤرخين عربا ومستعربين ، شرقيين ومستشرقين على أن الأوس والخزرج الذين سماهم القرآن والإسلام فيما بعد « الأنصار » هم قحطانيون[١] .

٢ **الأنصار أزديون**

ولا خلاف كذلك فى أن الأوس والخزرج أزديون ينتسبون إلى كهلان ، الذى هو وحمير فرعان من سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

أما الحميريون فقد بقوا باليمن ، ولكن الكهلانيين أو بعبارة أدق قبائل الأزد ، قد نزحت إلى داخل الجزيرة العربية واختلطت بالعرب المستعربة — بنى إسماعيل — لغة ونسبا[٢] .

٣ **نسب الأنصار**

ولا خلاف كذلك فى أن الأوس والخزرج ولدى رجل واحد .

---

(١) وهى إحدى أنواع العرب المسماة بالعاربة ، وقد كانت قاطنة ما بين دجلة والفرات قبل نزوحها إلى اليمن ، وهناك نوعان آخران هما : العرب البائدة ؛ وهى التى ذكرها القرآن والكتب السماوية الأخرى ، وقد بادت جميعها مثل عاد وثمود وطسم وجديس والعمالقة ، أما النوع الثالث فهو العرب المستعربة ؛ وهم بنو إسماعيل وقد عرفوا فيما بعد بالعدنانيين ، وقد اختلطت بها العرب القحطانية وساكنتها بلادها بعد أن نزحت من اليمن وامتزجت بها لغة ونسباً .

(٢) السمهودى ص ١٢٢ .

https://archive.org/details/@user082170

أمهما : قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد ، وقيل هى بنت الأرقم بن عمرو ابن جفنة بن عمرو مزيقياء الآتى ذكره .

وأبوهما : حارثة بن ثعلبة العنقاء[١] بن عمرو مزيقياء[٢] بن عامر ماء السماء[٣] بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق[٤] بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[٥] .

### هجرة الأوس والخزرج « الأنصار » الى يثرب « المدينة »

وأيضاً لا خلاف كذلك بين المؤرخين على أن قبائل الأزد بما فيها الأوس والخزرج قد هاجرت من اليمن إلى داخل الجزيرة العربيـة ، كما أنه لا خلاف كذلك على أن الأوس والخزرج قد سكنوا يثرب ، أما سبب هجرتهم فهو الذى اختلفت فيه روايات المؤرخين ، وتضاربت بشأنه أقوال المحدّثين .

### الهجرة قبل سيل العرم

( ا ) فمن قائل أن عمرو بن عامر السابق الذكر الذى هو الجد الثانى للأوس والخزرج قد رأى جُرَذاً يحفر فى سد مأرب الذى كان يحبس عليهم

---

(١) اشتهر بذلك لطول عنقه .
(٢) اشتهر بذلك لأنه كان يمزق عنه كل يوم حلة حتى لا يلبسها أحد بعده .
(٣) اشتهر بذلك لسماحته وبذله فكأنه فى جوده وكرمه كماء السماء المنهمر والمطر الغزير .
(٤) اشتهر بذلك لأن بنى إسرائيل استعانت به بعد بلقيس فبطرقه رحبعم بن سليمان بن داود .
(٥) عن الكلبى ، وابن حزم : السمهودى ص ١٢٤ وابن الأثير ج ١ ص ٣٠٣ — ابن خلدون ج ٢ .

https://archive.org/details/@user082170

الماء فيصرفونه كيف شاءوا لإرواء أراضيهم ، فعلم أنه لا بقاء للسد بعد ذلك ، فعزم على الهجرة من اليمن ، ولكنه يريد اختلاق سبب للرحيل ، فأمر أصغر أولاده[١] عند ما يغلظ له القول « تظاهراً » فيلطمه ، أن يبادله اللطم .

وفعلا تم ذلك أمام ملأ من الناس ، فقال عمرو : لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه أصغر ولدى ! ولهذا باع عمرو أملاكه جميعها وخرج من اليمن وخرجت معه الأزد جميعها ، وتفرقوا فى البلدان ؛ فنزلت آل جفنة غسان بالشام ، ونزلت الأوس والخزرج يثرب ، و ... ... ...[٢] .

(ب) ومن قائل أن عمرو بن عامر مات قبل سيل العرم وصارت الرئاسة إلى أخيه عمران بن عامر الكاهن ، وكان منقطع الخلف ، وقد قصت عليه طريفة الكاهنة قصة مضمونها :

أنها ذات يوم وهى نائمة ، رأت أن سيلا جارفا ، وماء غامراً ، سيغمر البلاد بحيث لا يبقى ولا يذر ، فسألها ما علامة ذلك ؟ فقالت :

إذا رأيت جرذاً يكثر فى السد الحفر ، ويقلب فيه بيديه الصخر ، فأفهم أن قد وقع الأمر ، وفعلا عند ما رأى عمران[٣] الجرذ تحفر السد صدّقها وآمن بقولها ، فأراد الاحتيال على المهاجرة فاتفق مع بنى أخيه[٤] كما سبق ...[٥]

(١) أو يتيما كان قد رباه كما فى بعض الروايات ص ١١٨ السمهودى .

(٢) ابن هشام ج ١ ص ١٢ .

(٣) أو عمرو أخاه كما فى بعض الروايات .

(٤) أو أحد أولاده .

(٥) السمهودى ص ١١٨ .



https://archive.org/details/@user082170

**أو الهجرة بعد سيل العرم**

ومن قائل آخر : أن الهجرة قد حصلت بعد حدوث السيل وجرفه لسد مأرب ؛ وهو المسمى بسيل العرم[(١)] فيحدثنا :

أنه لما حدث السيل الذى جرف السد قام كبير الأزد[(٢)] وجمع القبائل الأزدية جميعها وقال لهم : سأصف لكم البلاد التى يمكنكم الهجرة إليها ، فلتختاروا أيها رغبتم إذ لا عيش لكم هنا بعد الآن :

فمن كان منكم ذا همّ بعيد ، وجمل شديد ، ومُراد حديد ، فليلحق بقصر **عمان** المشيد . فاختار ذلك المكان جماعة منهم وذهبوا إلى هناك فسموا بأزد عمان .

ومن كان منكم يريد الخمر والخمير ، والديباج الحرير ، والأمر والتأمير ، فليلحق **ببصرى** وسدير ، وهما من أرض الشام فاختار ذلك جماعة ثانية وذهبوا إلى هناك وهم آل جفنة بن غسان .

ومن كان منكم يريد الراسخات فى الوحل ، والمطعمات فى المحل ، فليلحق **بيثرب** ذات النخل ، فاختار ذلك جماعة منهم ، وهم الأوس والخزرج أولاد حارثة وذهبوا إلى يثرب[(٣)] .

**ترجيح وتدليل**

ولكننا نرجح الرواية الأخيرة ، القائلة بخروج الأزد من اليمن وهجرتها إلى البلاد المختلفة ، بعد حصول سيل العرم ، الذى جرف سد مأرب ، وذلك لما يأتى :

١ — لأن القرآن قد روى هذا الحادث ، فقال فى سورة سبأ ما يؤيد ذلك : لقدْ كانَ لسبأٍ فى مَسْكنِهِمْ آيةٌ جَنَّتَانِ ، عن يمينٍ وشِمالٍ ، كُلُوا

---

(١) العرم المطر الشديد .  (٢) عمران أو عمرو .

(٣) السمهودى ص ١٢٠ والأغانى ج ١٩ ص ٩٥ .

مِنْ رزق رَبِّكُمْ ، واشكُرُوا له بَلْدَةٌ طيِّبَةٌ ، وربٌّ غَفُور . فأعْرَضُوا فأرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ ، و بدَّلْنَاهُمْ بجنَّتَيْهِمْ جنَّتَيْنِ ، ذواتَىْ أُكلٍ خَمْطٍ وأثْلٍ وشَىْءٍ من سِدْرٍ قليل » .

ب — ولأنه لا يعقل أن يهاجر الأزد وهم أشراف اليمن وسادته ؛ من اليمن وهى بلادهم وموطنهم ، والوطن عزيز لدى كل نفس ، والبلد غال عند الناس طراً ، فهو يضم التراث والآباء ، ويحوى الذكريات ؛ ذكريات الصبا والغرام ، وهو أثمن مايورثه ولد لبنيه ، ويتركه جد لأحفاده ، يحمى بالروح ويدفع عنه بالولد والمال ، فلا يعقل أن يترك الأزد وطنهم ومقر سيادتهم ويتفرقون فى البلاد شذر مذر ، لخرافة أوحت بها كاهنة ، أو استنتاج بعثه فأر [١] .

## متى كانت الهجرة تقريبا

وقد دلت أبحاث العالم جلازر (Glaser) الأثرية سنة ١٨٩٦ م ، والنقوش التى عثر عليها باليمن ، على أن السيل قد حدث فعلا ، ولو أنه حدث مرات متعاقبة ، وأن حدوثه لا يرجع إلى المطر الغزير فحسب ، بل كان نتيجة لإهمال السد أيضاً ، وأن حدوث السيل الأول كان فى سنة ٤٤٧ بعد الميلاد ، وقد استمر إلى سنة ٤٥٠ م [٢]

وبفرض أن الهجرة كانت نتيجة للسيل ، فيكون الأوس والخزرج قد نزحوا إلى يثرب ، قبل البعثة بحوالى قرنين من الزمان .

هـذا هو تاريخ الأوس والخزرج ، وهم الذين أُطلق عليهم فيما بعد « الأنصار » قبل نزوحهم إلى يثرب ، وسبب هجرتهم من اليمن ، وزمن ذلك بالتقريب .

---

(١) تاريخ الأمم الإسلامية للخضرى ج ١ ص ١٨ .

(٢) Glaser ; Skizzen und gleschichte Arabiens dis Moh. Glaser ; Sammbung.

# الباب الثانى

## يثرب واليهود وهجرتهم إليها

---

٩ — يثرب قبل اليهود

١٠ — هجرة اليهود إلى يثرب

١١ — هجرة اليهود الثانية إلى يثرب

١٢ — سكان المدينة حين هجرة اليهود إليها

١٣ — شىء عن المدينة جغرافياً واقتصادياً

https://archive.org/details/@user082170

# الباب الثانى

## يثرب واليهود وهجرتهم إليها

---

٩ **يثرب قبل اليهود**

أما يثرب « المدينة » وهى إحدى مدن الحجاز ؛ فقد بناها يثرب بن قائد بن عبيل بن مهلاييل بن عوص بن عمليق بن لاوذ بن أرم ، من عرب العمالقة الذين ملكوا فيما ملكوا ، ما بين البحرين وعمان والحجاز ومصر ، فمنهم جبابرة الشام وفراعنة وادى النيل ، وكان يسكنها من هؤلاء العمالقة : بنو لفيف وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو نطرون ، وكانوا أهل بغي وعدان ، وظلوا بها إلى أن صار ملكا عليهم الأرقم من العمالقة ، وكان ذلك أيام موسى عليه السلام(١)

١٠ **هجرة اليهود الى يثرب**

أما هجرة اليهود ليثرب فقد كانت على موجتين :

(١) الموجة الأولى : عند ما أرسل موسى عليه السلام جيشاً إلى عمالقة الحجاز بيثرب ، وهم أولاد عمٍّ لفراعنة مصر ، وأمرهم ألا يتركوا أحداً منهم بلغ الحلم ، فلما قدموها وانتصروا عليهم ، نفّذوا وصية نبيهم ولم يتركوا إلا الأرقم ملكهم ؛ لأنه كان وسيم الطلعة ، بهيّ المنظر ، جميل الوجه ، جليل النسب ، حتى يأخذوه معهم إلى نبيهم عند رجوعهم إليه .

وفعلا أخذوه معهم عند رجوعهم ، ولكن الله قبض نبيهم موسى إليه

---

(١) السمهودى ص ١١١ وابن خلدون ج ٢ ص ٢٨٦ .

https://archive.org/details/@user082170

قبل وصولهم الشام ، فلما سمع اليهود بمقدمهم ، خرجوا إليهم للاقاتهم فأخبروهم عما فتح الله عليهم من بلاد ، ولما سألوهم عن تنفيذهم وصية نبيهم موسى ، أخبروهم : أنهم لم يستبقوا بالغاً إلا الأرقم ملكهم هذا .

فقال لهم بنو إسرائيل حينئذ : إنكم عصاة حيث خالفتم أمر نبيكم ، ولهذا فلن تدخلوا علينا بلادنا أبداً ؛ فرجعوا إلى المدينة ، وساكنوا أهلها ، وبقوا بين ظهرانيها(١) .

١١ **هجرة اليهود الثانية الى يثرب**

أما الهجرة الثانية لليهود فقد كانت حين امتلك الروم الشام ، وأذاقوا اليهود ألوان العذاب ، وصنوف التشريد ، فذهبوا عند أقاربهم هناك بيثرب وكان منهم بنو النضير ، وبنو قريظة وبنو بهدل وغيرهم ؛ هاربين من وجه الرومان ، وكانوا نيفاً وعشرين عشيرة وهناك بنوا الحصون والآطام التى نافت على الخمسين ..

١٢ **سكان المدينة حين هجرة اليهود اليها**

ويذكر المؤرخون : أنه كان يسكن المدينة حين هاجر اليهود إليها الهجرة الثانية من العرب ، بعض العمالقة السابق ذكرهم ، وبعض بطون من العرب منهم : بنو الحرمان ، وبنو بلى ، وبنو مرثد ، وبنو الحارث بن بهثة . وكان لهم بعض الآطام وبقوا على دين آبائهم وعدوا من موالى اليهود ، وكانوا معهم كالعمال والرعاة لا أكثر ولا أقل .

١٣ **شىء عن المدينة جغرافياً واقتصادياً**

أما جغرافية المدينة الاقتصادية : فهى لم تكن بلاد مشجرة مثمرة ، كبقية بلاد الحجاز : ذات مراعى وصاحبة ماشية ، وإنما كان لديهم بعض

---

(١) السمهودى ص ١١١ وابن خلدون ج ٢ ص ١٨٧ .

https://archive.org/details/@user082170

النخيل ، وقليل من الزرع النحيل ، يغرس بنواحى المدينة ، أو بالموات من الأرض ، وشيء خفيف من الإبل والغنم .

أما مساكنهم فكانت آطاماً من الحجارة ، وحصوناً بنوها بأيديهم يجتمع بها اليهود ، ويتحصن فيها بنو إسرائيل ، وقد كانوا هم رجال الأسواق ، وأصحاب التجارة ، ومالكو رءوس الأموال ، ومهرة الصناع فى جزيرة العرب ، أما الآطام فهى جمع أطم ؛ وهى أشبه بالحصون الكبيرة المشيدة بالحجارة ، ويفزع إليها أصحابها ويلجأ إليها النساء والأطفال والعجزة حين يذهب المقاتلون الأشداء للحرب مع العدو ، وفيها تخزن الثمار والغلال والأموال والأسلحة والبضائع وغيرها .

وكانت تشتمل أيضاً على المعابد والمدارس والكتب ، وفيها يجتمع الزعماء والقادة للتشاور[١] .

---

(١) الروض الأنف ج ٢ ص ٥٢ وتاريخ اليهود فى بلاد العرب ص ١١٦ للفونس

https://archive.org/details/@user082170

## الباب الثالث

## الأوس والخزرج بيثرب قبل الإسلام

---



https://archive.org/details/@user082170

# الباب الثالث

## الأوس والخزرج بيثرب قبل الإسلام

---

١٤ **أولاد قيلة بيثرب عمال لليهود**

وصل أولاد حارثة من الأوس والخزرج إلى يثرب « المدينة » ، فتفرقوا فى مرتفعاتها ومنخفضاتها : فمنهم من نزل مع اليهود فى قراهم ، ومنهم من نزل وحده ، ومنهم من نزل مع العرب من موالى بنى إسرائيل ، وكان حالهم مع اليهود كحال العرب الذين كانوا يدينون بالولاء لهم ، فعاشوا معهم فى جهد من العيش وضيق من الحياة ، وليس للواحد منهم إلا اليسير من النخل ، وبعض المزروعات التى يستخرجها من الأرض الموات[1] .

١٥ **ثم حلفاء لبنى اسرائيل**

ولما كان من عادة العرب دائما اصطناع الأحلاف ، والاستيثاق بالعهود ، فقد انساق أولاد قيلة واليهود نحو حلف يعقد ، ومواثيق تبرم ، يأمن بها بعضهم من بعض ، ويمتنعون بها على من سواهم ، فتحالفوا وتعاهدوا .

ظل الأوس والخزرج فى اتفاق دائم ، يتساندون ضد اليهود حيناً ، ومع بعضهم أحياناً ، ويتعاونون فى سبل العيش ، ويتآخون فى الرأى والكلمة ، فكلهم أولاد العم وأبناء الخال ، أمهم قيلة وأبوهم حارثة .

---

(١) الأغانى ج ١ ص ٩٦ .

https://archive.org/details/@user082170

نعم ظلوا كذلك : الفاقة تجمعهم ، والكدّ يوحّدهم ، وإحساسهم بالضعف والفقر والغربة يلم شعثهم ، إلى أن أثروا نوعاً ما ، فأصبحوا أصحاب مال وتجارة ورجال وعَدَد ومزارع ، بعد أن تعلموا من اليهود : وهم خير أستاذ ، وبعد أن تلقنوا من بنى إسرائيل : وهم أحسن معلم ومرشد .

١٦ أولاد قيلة ينزعون الى السيادة

أما الأسباب التى ساعدت الأوس والخزرج — الأنصار — على انتزاع السيادة من اليهود ، فهى مزيج من البواعث الآتية :

وجد الأوس والخزرج أنفسهم ، وقد أضحوا يساوون اليهود فى العَدد والرجال ، إلا أنهم يتفوقون عليهم بالآطام التى يتحصنون بها ، وقد ساعدهم على تأسيسها الزمن والمال ، ويتفوقون أيضاً عليهم بالمال الذى ورثوه أو ورثوا الحيل التى تجمعه ، والطرق التى تستلبه وتلمّه ، كما يزيدون عنهم كذلك بالصناعات التى أتقنوها بعد أن تلقنوها أباً عن جد .

نعم شعر الأوس والخزرج بألا بدّ لهم من حياة سائدة لا مسودة ، أو على الأقل ؛ حياة محترمة فيها يتساوون مع اليهود ، ويحسون أن لهم فى يثرب مكانا ، وتحت ظلال النخيل مقعداً ، وفى داخل الآطام يملكون محلا ومستقراً .

١٧ مالك بن العجلان الخزرجى سيد الأوس والخزرج

فتخوف الفريقان من بعضهما حينئذ ، سيما عندما رأى اليهود أن أولاد قيلة قد أثروا بالمال نوعاً وبالرجال حقاً ، فقطعوا حلفهم وردوا إليهم مواثيقهم ، وصارحهم بذلك بنو قريظة وبنو النضير أقوى بيوتات اليهود ، وأكبر عشائر بنى إسرائيل ؛ حتى أن الأوس والخزرج أحسوا بعد ذلك الإعلان أن

https://archive.org/details/@user082170

اليهود لن يكونوا بعد اليوم حلفاء يطمئنون إلى جوارهم ، وإلى العيش بينهم ، فخافوا أن يجلوهم عن ديارهم .

ظل الأوس والخزرج هكذا خائفين وجلين ، حتى نبه بينهم مالك بن العجلان السالمى الخزرجى بن عوف بن الخزرج فسوّده الحيان[1] .

١٨ **مالك يستنجد بأبى جبيلة**

وهنا يتلفت مالك نحو حلف آخر فيجد أولاد عمه وهم أقرب الناس إليه « أزد غسان » بالشام فيرحل إليهم ، ويجد من أبى جبيلة الأزدى وقد أصاب شرفاً وسيادة عونا ونصيرا إذ يسأله عن بنى أعمامه من أزد يثرب ؟ فيخبره بحالهم وما هم فيه من ذلة مع اليهود ، وخوف دائم وقلق مع بنى إسرائيل ، وهم أصحاب التجارة والمال والآطام والمزارع والصناعات ، فيتعجب أبو جبيلة قائلا :

والله ما نزل قوم منا ببلد إلا وقد غلبوا أهله ، وأصبحوا ذا سيادة وعزة ومنعة بينهم !! فما بالكم ؟؟

١٩ **أبو جبيلة يفتك بأشراف اليهود**

وهنا يُعَضِّد ذلك سبب آخر فأبو جبيلة ملك غسان — على رأى بعض المؤرخين — أو كبير قومه بمملكة غسان الموالية للرومان المسيحيين بالشام — على رأى آخر — ينتهز هذه الفرصة فيندفع نحو التنكيل بيهود يثرب أعداء الرومان .

لهذين الباعثين يعزم أبو جبيلة على السير إلى يثرب ، لمساعدة أولاد عمه ضد اليهود فيأمر مالكا بالذهاب قبله ، ليخبر أولاد عمه الأوس والخزرج بمجيئه إليهم فى جمع كبير من أولاد عمهم أزد غسان ، وعند ما يصل

(١) السمهودى ص ١١٦ .

https://archive.org/details/@user082170

أبو جبيلة إلى يثرب ينزل بذى حُرُض (١) ، متظاهراً بأنه يريد اليمن حتى يمكر باليهود فلا يتحصنوا منه فى آطامهم ، فيستعصوا عليه ، فيطول حصاره إياهم ، فأمر ببناء حائر وسور واسع ، ثم أرسل إلى اليهود بأنه يضيفهم ويحب أن يكرمهم ، فلم يبق وجيه من وجوههم إلا أتاه ومعه حشمه وخاصته .

فلما اجتمعوا ببابه أمر رجالا من جنده أن يكونوا داخل البناء ليقتلوا كل من يدخل عليهم ، كما أمر حجابه أن يُدخلوا رجلا رجلا ، فظل الحجاب يأذنون ، وظل الجند يعملون فيهم بسيوفهم حتى أتوا على آخرهم (٢) .

٢٠ **مالك بن العجلان يتم ما فعل أبو جبيلة**

وهنا ظهرت العداوة بين اليهود وأولاد قيلة ، وأحس مالك أن لأشراف اليهود بقية ، فشاور قومه على أن يصنع لليهود طعاماً أيضاً ، ويرسل لأشرافهم الباقية حتى إذا أتوا قضى عليهم ، فأجابوه إلى ما طلب ؛ فصنع الطعام وأرسل لليهود فقالوا لرسوله : والله لا نأتيهم أبداً وقد قتل منا أبو جبيلة ما قتل ! ! فبعث لهم مالك بأن ذلك كان على غير هوى منا ، ولهذا أردنا أن نمحوا عاره ، وأخيراً أجابه اليهود إلى ما طلب ، فجعل كلما دخل عليه رجل منهم أمر به مالك فقُتل حتى قضى على بضعة وثمانين رجلا .

ثم أن رجلا من اليهود أقبل حتى قام على باب مالك يتسمع ، فلم يسمع صوتاً فرجع وحذر الباقين من قومه ، فلم يأت أحد منهم بعد ذلك .

ولهذا ظل مالك مكروهاً من اليهود لدرجة أنه صُوِّر فى كنائسهم وبِيَعهم ليلعنوه كلما دخلوها (٣) .

٢١ **أولاد قيلة يثبون على نواحى المدينة**

لهذا نرى بعد أن حصل ما حصل لليهود على يد أبى جبيلة ومالك ؛ تثب

---

(١) محلة بظاهر المدينة . (٢) الأغانى ج ١٠ ص ٩٧ والسمهودى ص ١٢٧
(٣) الأغانى ج ١٩ ص ٩٧ .

https://archive.org/details/@user082170

الأوس والخزرج على المدينة عاليها وسافلها وأطرافها ، ويحتلون ما يعلى مكانتهم : فيمتلكون الآطام ، ويستعمرون المزارع ، ويستولون على الأموال والنخيل ، وينزلون المنازل اللائقة بهم ، فأصبح لكل حيّ منزلا يعرف باسمه .

## ٢٢ بطون الأوس

فنجد من بطون الأوس :

(ا) بنى عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج الأصغر بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة ، وكذا بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج الأصغر ينزلون حياً يعرف بحى بنى عبد الأشهل ، ومن آطامهم واقم والرعل

(ب) بنى ظفر وهو كعب بن الخزرج الأصغر ينزلون منزلا يعرف باسمهم كذلك .

(حـ) بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ينزلون قباء ، ومن آطامهم فى ذلك الحين الشنيف والصياصى وكذلك بنو قطمة وبنو أمية وبنو عطية وبنو زامل فكان كل يحتل منزلا يناسبه .

## ٢٣ بطون الخزرج

وكذلك نجد بطون الخزرج وقد احتلت لها مكاناً :

فبنو غُنم وبنو سالم ابنا عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأكبر ينزلون منزلا واحداً ، وكذا بنو سلمة بن جشم بن الخزرج ، وكذا بنو سواد بن غنم ابن كعب ، وكذا بنو عبيد بن سلمة ، وبنو حرام بن سلمة ، وبنو بياضة وزريق ابنا عامر بن غضب ، وبنو حارثة بن غضب ، كل قد نزل منزلا خاصاً به .

وكذا بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج الأكبر .

فبنو عمرو وبنو ثعلبة ابنا الخزرج بن ساعدة قد نزلوا منزلا .

وبنو قشبة عامر بن الخزرج بن ساعدة قد نزلوا منزلا آخر .

https://archive.org/details/@user082170

وبنو حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن ساعدة من الخزرج[١] نزلوا منزلا كذلك[٢] .

وبنو وقش وبنو عثمان ... ابن ساعدة كذلك[٣] .

ثم بنو مالك بن النجار ، وبنو عدى بن النجار ، وبنو مازن بن النجار وبنو دينار بن النجار ، كل نزل منزلا كذلك .

**التجاء اليهود الى الأوس والخزرج**

بعد أن امتلك الأوس والخزرج نواحى المدينة وجميع مرافقها ، ذل اليهود وأخذهم الرعب وملأهم الخوف ، فكانوا كلما أحسوا شيئاً من الأوس والخزرج لا ينحازون إلى بعضهم متظاهرين عليهم متعاونين ضدهم ، بل يذهب اليهودى إلى جيرانه من أولاد حارثة طالباً منه حماية جاره قائلاً له : نحن مواليكم وجيرانكم ، فأضحت وقد لجأت كل عشيرة من اليهود ، إلى حى من أحياء الخزرج والأوس ، يطلبون منهم النصرة والحماية[٤] .

نعم فعل اليهود ذلك وقد أحسوا أن قتالهم للأوس والخزرج غير مجدٍ ، فهم قد أصبحوا الآن فى حلف مع أزد غسان ، كما فقدوا أشرافهم بأيدى أبى جبيلة ومالك ، كما أنهم أضحوا كذلك وفيهم القوة من المال والرجال والأراضى ، حيث وثبوا على آطامهم فسكنوها ، وعلى مزارعهم فاستعمروها ، وحيث أضحت الشوكة والمنعة فيهم ، بل أوشكوا أن يكونوا أصحاب يثرب وقادتها .

**اليهود يفرقون ليسودوا**

قد رأيت أن كل عشيرة من اليهود قد انحازت إلى قبيل من الأوس

---

(١) رهط سعد بن عبادة .

(٢) وفيه سقيفة بنى ساعدة ومن آطامهم واسط .

(٣) السمهودى ص ١٥١ .

(٤) أغانى ج ١٩ ص ٩٧ .

والخزرج تأخذ لها حليفاً ونصيراً تمده بالأموال وبالدروع وبالرأى ، ليحميها بالقوة والرجال ، فعل اليهود ذلك :

١ — طمعاً فى حماية أنفسهم من عدوان الأوس والخزرج عليهم إذ لا يفل الحديد إلا الحديد .

٢ — طمعاً فى إثارة الحرب والبغضاء بين الأوس والخزرج حتى ينشغلوا عن اليهود أولا ، وحتى يضعفوا ثانياً ، وحتى يكونوا هم القادة والمحركون لهم — ولو سراً — ثالثاً .

٢٦ **حرب الأوس والخزرج**

ولهذا نرى بين الأوس والخزرج من الحروب والوقائع ما خلدها الشعراء ، وسجّلها المؤرخون ، والتى ظلت قائمة بينهم فأتت عليهم وأكلت رجالاتهم وأموالهم ، وشتت رأيهم وجماعتهم ، ولم ينتشلهم مادياً وروحياً ، إلا محمد ابن عبد الله عند ما أسلموا إليه زمامهم ، فوحّد كلمتهم تحت راية الإسلام ، وقادهم إلى الفتوحات الخارجية تحت كلمة الله ، ولواء الرسول ، وإليك بعضاً منها :

٢٧ **حرب سمير**

وقد كان هذا أول خلاف وقع بين الأوس والخزرج ، وسببها :

أن حليفاً لمالك بن العجلان الخزرجى ، قتله رجل يسمى سمير الأوسى ، فطالب الخزرج الأوس بديته كاملة(١) وكانت القاعدة ، أن دية الحليف هى دية النسيب ، فلم ترض الأوس بذلك ، فقامت الحرب بينهما سجالا ، وأخيراً قبلت الأوس المنتصرة ، حكم المنذر بن حرام النجارى الخزرجى ، جدّ حسان ابن ثابت ، وقبل الخزرج حكمه كذلك(٢) .

---

(١) الدية هى التعويض المالى .

(٢) ابن الأثير ج ١ ص ٣٠٤ .

https://archive.org/details/@user082170

٢٨ يوم السرارة

وسببها أن رجلا من بنى عمرو الأوسيين ، قتله بنو الحارث الخزرجيون ، فأخذ بنو عمرو ثأرهم سراً إذ قتلوا القاتل ، وهنا تهيأت الأوس للقتال ، وأعلنت الخزرج بالحرب ، وفعلا التقوا بموضع هناك يقال له السرارة ، وكان رأس الأوس حضير بن سماك والد أسيد بن حضير الصحابى ، وعلى رأس الخزرج عبد الله بن سلول ، فتقاتلوا قتالا شديداً ، وأخيراً ملّت الأوس الحرب وتخلت عنها(١) .

٢٩ يوم فارع

والسبب فيها أن رجلا من بنى النجار الخزرجيين ، قتل رجلا جاراً لمعاذ بن النعمان الأوسى ، والد سعد بن معاذ الصحابى ، فطلب الأوس من الخزرج : الدية أو القاتل ، ولكن الخزرج أبوا ذلك فقال الأوس : والله إن لم تفعلوا فسنقتل به عامر بن الأطنابة الخزرجى ، وكان من أشرافهم فلما بلغ ذلك عامراً قال :

| | |
|---|---|
| ألا من مبلغ الأكفاء عنى ؟ | وقد تهدى النصيحة للنصيح |
| فإنكم وما ترجون شطرى | من القول المزجى والصريح |
| سيندم بعضكم عجلا عليه | وما أثر اللسان إلى الجريح ! |
| أبت لى عزتى وأبى بلائى | وأخذى الحمد بالثمن الربيح |
| وإعطائى على المكروه مالى | وضربى هامة البطل المشيح |
| وقولى كلما جشأت وجاشت | مكانك تحمدى أو تستريحى |
| لأدفع عن مآثر صالحات | وأحمى بعدُ عن عرض صحيح |
| بذى شطب كلون الملح صافٍ | ونفس لا تقرّ على القبيح |

ولما رأى معاذ بن النعمان امتناع الخزرج عن الدية أو القاتل ، طلبهم

---

(١) ابن الأثير ج ١ ص ٣٠٦ .

https://archive.org/details/@user082170

للحرب فاقتتلوا عند فارع[١] قتالا شديداً ، جعل من عامر بن الإطنابة يحمل الدية إلى الأوس ، كما يحمل إليهم السلام والوئام مسجلا ذلك فى قوله :

إنى من القوم الذين إذا افتدوا     بدأوا بِبِرّ الله ثم النائل
المانعين من الخنى جيرانهم     والحاشدين على طعام النازل
والخالطين غنيهم بفقيرهم     والباذلين عطاءهم للسائل
ليسوا بأَنْكاس ولا مِيلٍ إذا     ما الحرب شبت أشعلوا بالشاعل
لا يطيعون وهم على أحسابهم     يشفون بالأحلام داء الجاهل

٣٠ **حرب حاطب**[٢]

وسببها أن أحد الأوسيين ، دفع يهودياً للطم ضيف لحاطب الخزرجى بسوق المدينة ، وعندما علم حاطب بذلك قتل اليهودى ، فذهب الأوسى وقتل واحداً من الخزرج ، وهنا قامت الحرب بين الأوس والخزرج فى عدة مواضع ، منها :

**يوم الجسر** وكانت الحرب فيه بزعامة عمرو بن النعمان البياضى الخزرجى ، وحضير بن سماك الأشهلى الأوسى ، وكان الغلب فيها للخزرج ،

**يوم الربيع**[٣] وكان النصر فيه للخزرج أيضاً ، ثم يوم البقيع وكان النصر فيه للأوس ، وأخيراً تصالحوا على أن يعطى الخزرج ثلاث غلمان منهم رهينة لدى الأوس ، ولكن الأوس غدرت بهم وقتلتهم ولذا وقع بينهم .

**يوم الفجار الأول**[٤] وكان رئيس الخزرج فيه ، عبدالله بن أبى بن سلول ، ورئيس الأوس أبو قيس بن الأسلت الأوسى ، ولم يكن النصر فيه لأحد .

---

(١) أطم لحسان بن ثابت الخزرجى .
(٢) بعد سمير بمائة سنة .
(٣) اسم حائط استند إليه المتقاتلان .
(٤) سمى يوم الفجار لغدرهم بالغلمان .

https://archive.org/details/@user082170

ثم كان يوم قَعْبسَ ومَضْرَس[1] وكان النصر فيها للخزرج :

٣١ **طلب الأوس الحلف من قريش**

وهنا خرج بعض رجالات الأوس يطلبون حلف قريش ، فساروا إلى مكة وحالفوا قريشاً ، وكان أبو جهل غائباً فلما قدم أنكر ذلك ، وقال لهم : أما سمعتم قول الأوائل : ويل للأهل من النازل ، إنهم لأهل عدد وجلد ، ولقلما نزل قوم على قوم منهم إلا أخرجوهم من بلادهم وغلبوهم عليه ؟؟

قالوا فما المخرج من حلفهم ؟ قال : أنا أكفيكموهم . ثم خرج حتى أتى الأوس فقال لهم : إنكم حالفتم قومي وأنا غائب فجئت لأحالفكم ، وأذكر لكم من أمرنا ما تكونون بعده على رأى من أمركم ، إنا قوم تخرج إماؤنا إلى أسواقنا ، ولا يزال الرجل منا يدرك الأمة فيضرب عجيزتها ، فإن طابت أنفسكم أن تفعل نساؤكم مثل ما تفعل نساؤنا حالفناكم ، وإن كرهتم ذلك فردوا إلينا حلفنا . فقالوا : — وكانوا ذو غيرة شديدة على نسائهم — لا نقر بهذا ، وردوا إليهم حلفهم ورجعوا إلى بلادهم .

٣٢ **يوم الفجار الثانى**

وهنا ولّى الأوس وجههم شطر بنى قريظة وبنى النضير ، يطلبون حلفهم علانية ، فبلغ الخزرج الخبر فطلبوا من اليهود : إما الرهائن حتى لا ينضمون إلى الأوس ؟ وإما الحرب العوان ؟ فأعطوهم أربعين غلاماً يهودياً رهينة ، ولكنهم انضموا إلى الأوس سراً وغدروا بالخزرج ، فقتل الخزرج الرهائن فقامت الحرب بين الأوس والخزرج على قدم وساق ، ولم يكن النصر فيها حاسماً لفريق على آخر .

---

(١) هما حائطان استندت إلى الأول الأوس ، وإلى الثانى الخزرج حين القتال .

https://archive.org/details/@user082170

م بُعاث

وسببه أن اليهود من بنى قريظة وبنى النضير وآخرين غيرهما ، قد انحازوا لى الأوس علنا ، لأنهم وجدوا ألا مفرّ من ذلك بعد أن تأكد الخزرج من نياتهم السيئة نحوهم ، فوازروا الأوس بالمال وبالعتاد وبالآطام ، واستعانت الخزرج بحلفاء آخرين من العرب ، وأخيراً قامت الحرب بِبُعاث[1] وكان على رأس الأوس حضير الكتائب بن سماك ، وعلى رأس الخزرج : عمرو بن النعمان البياضى ، وتخلف عنهم عبد الله بن أُبىّ بن سلول الخزرجى وجماعته .

فانهزمت الأوس وفرت هاربة ، لولا أن رئيسهم حضيراً عقر قدمه بسنان رمحه صائحاً : واعقراه !! والله لا أعود حتى أقتل ، فإن شئتم يامعشر الأوس فافعلوا !! فتكاثروا حوله يحمونه ، فمالت رحى الحرب على الخزرج ، وقتل رئيسهم عمرو بن النعمان البياضى الخزرجى ، وجرح حضير جرحاً مميتاً لم يمهله أياماً ، وكرّت الأوس على الخزرج لنهب الدور وحرق النخيل ، لولا أن قال قائلهم : يامعشر الأوس ! أحسنوا ولا تهلكو ، فإن الخزرج إخوانكم ، وجوارهم خير من جوار الثعالب[2] . فكفوا أيديهم ، ولكن اليهود ظلوا يعملون فيهم النهب والسلب ، وقد وجدوا الفرصة سانحة لإضعاف الخزرج أصحاب الشوكة والغلب .

٣٤ أولاد قيلة يتطلعون الى الوحدة فيبعث الله لهم محمدا

هاهى ذى حرب بعاث خاتمة الحروب بين الأوس والخزرج ، بعد أن ضعفت قوتهم ، ولانت شوكتهم ، وذلّت نفوسهم ، فرءوسهم وكبارهم قد فنوا عن آخرهم ، وشبابهم قد حصدته الحرب وأحرقته بنارها .

وهاهم الآن يتلفتون فيبحثون عن رجل يوحّد كلمتهم ، ويجمع شملهم ،

(١) حى من أحياء بنى قريظة . (٢) اليهود .

https://archive.org/details/@user082170

كما جمعهم مالك بن العجلان الخزرجى ، فلمسوا من هـذه الوحدة السيادة والسؤدد .

نعم هم الآن يتلفتون فيجدون عبد الله بن أبى الخزرجى ، مستحوذاً على ولاء الأوس ، لأنه لم يشارك الخزرج فى حربهم ضدهم ، وعلى حب اليهود لأنه لم يناصبهم العداء ، وكان أعطف الناس على رهائنهم حيث لم يقتل ما كان لديه منها ، وحائزاً على موافقة الخزرج — ولو أنه لم يشاركهم حربهم — لأنه من أشرافهم ، ورئاسته هى شرف كبير يناله الخزرج على الأوس واليهود معاً .

لهذا لا نستبعد صحة الرواية التى قالها ابن هشام (١) بأن قوم عبد الله بن سلول الخزرجى ، قد نظموا له الخرز ليتوجوه ملكا عليهم .

نعم ؛ هكذا أراد أولاد قيلة ، ولكن الله — ولا مرد لقضائه — يريد شيئاً آخر ، يريد رسولا من لدنه ونبياً من عنده .

يريد أن تكون وحدة الأوس والخزرج على يد محمد بن عبد الله ، وأن تكون رسالتهم هى نشر الإسلام ، وأن يكون لواء حروبهم معقوداً للدفاع عن الدين الحنيف ، دين محمد ، ودين الله (٢) .

---

(١) الأغانى ج ٢ ص ٣٧ .

(٢) يرجع فى هذا الباب جميعه إلى الاغانى ج ١ من ص ١٥٤ — ١٥٩ . وإلى السمهودى ، وإلى ابن الاثير ج ١ من ٣٠٤ — ٣١٧ .

https://archive.org/details/@user082170

# الباب الرابع

## كيف أُرسل محمد ؟ وكيف جاهد ثلاثة عشر عاماً ؟
## وكيف طردته قريش ، وهزئت به العرب جميعاً ؟

---



https://archive.org/details/@user082170

# الباب الرابع

## كيف أُرسل محمد ؟ وكيف جاهد ثلاثة عشر عاماً ؟

## وكيف طردته قريش ، وهزئت به العرب أجمع ؟ ؟

---

**٣٥ محمد رسول الله**

وأخيراً وفى سنة ٦١٠م نزل الوحى على محمد بن عبدالله ، بن عبدالمطلب ، ابن هاشم ، القرشى ، العدنانى ، من بنى اسماعيل ، وسنه حوالى أربعين سنة ، وكان حينئذ يتعبد بغار حراء مختلياً بنفسه ، فيأمره قائلا له :

اُقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ، خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَق ، اُقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَم ، الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَم ، عَلَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (١)

**٣٦ محمد يدعو للإسلام سراً**

ثم جاءه ثانية بأمر آخر قائلا له :

يأيُّهَا الْمُدَّثِّر قُمْ فأَنْذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فاهْجُرْ ، وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ ، وَلِرَبِّكَ فاصْبِرْ (٢) .

ولقد دعا قومه ثلاث سنوات سراً إلى توحيد الله فآمن به القريبون منه ، ولكنه يريد المعونة من إلهه ، فقد أحس وحشة جبريله ، وخاف أن يكون ربه قد قلاه ونسيه .

---

(١) سورة العلق من ١ — ٥ .

(٢) سورة المدثر من ١ — ٧ .

https://archive.org/details/@user082170

### ٣٧ محمد يستعد للرسالة جهرة

وهنا ينزل عليه جبريل ثالثاً قاصاً عليه :

« والضُّحَى واللَّيلِ إذَا سَجَى ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ومَا قَلَى ، وللآخِرَةُ خَيْرٌ لكَ من الأولى ، ولَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَترضَى ، أَلمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ، وَوَجَدَكَ ضَالًا فَهَدَى ، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ، فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ »[1] .

نَعَمْ ؛ كان يتيما فآواه ، إذ كفله جده عبد المطلب ثم عمه أبو طالب .

ونعم ، كان فقيراً فأغناه ؛ إذ يسّر له خديجة بمالها وحدبها ورعايتها ونصحها .

ونعم ، كان ضالا فهداه ؛ إذ أرسله لنفسه وللناس يهديهم إلى الحق وينقذهم من الضلال .

وهاهى ذى الدعوة تسير سراً فتؤمن بها خديجة زوجه ، ثم علىّ ربيبه ، ثم زيد بن حارثة مولاه ، وهؤلاء هم أفراد بيت محمد الذين يعيشون معه تحت سقف واحد .

ثم يسلم كذلك أبو بكر ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبد الله ، وسعد بن أبى وقاص ، والزبير بن العوام ، وأبو عبيدة ابن الجراح ، وغيرهم من أهل مكة .

### ٣٨ وأنذر عشيرتك الأقربين

وبعد هاته الثلاث سنوات الذى ظل فيها يدعو للإسلام سراً ، نزل عليه الأمر الرابع قائلا :

« وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين ، واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ

---

(١) سورة الضحى .

https://archive.org/details/@user082170

المؤْمِنِينَ ، فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ[١] ، فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرْ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ[٢] .

هاهو ذا محمد يصدع بأمر ربه ، فيصنع لأهله طعاماً ليحدثهم برسالته ، ولكن عمه أبولهب يقطع عليه حديثه فلا يكمله .

فيدعوهم ثانية وبعد نهاية الطعام يتشجع ، ويقول كلاما فيعرضون عنه ويستهزئون به .

نعم هاهى ذى عشيرته تقطع عليه قوله ، وترفض السماع لكلامه ، فيتجه نحو غيرهم ، ويصعد على الصفا حتى يؤدى رسالته كاملة ، فينادى الناس طالباً منهم أن يقولوا : لا إله إلا الله ، فينهض أبو لهب قائلا :

تباً لك سائر هذا اليوم !! ألهذا جمعتنا ؟[٣]

٣٩ **قريش تبدأ العمل**

هنا أحست قريش ورجالاتها خطراً ما ، فأخذوا يسفهون محمداً ورسالته ويهزأون بأتباعه ، ثم بدأوا يطالبون أبا طالب : « إما أن تكف محمداً بن أخيك عنا وعن آلهتنا وآبائنا ؟ وإما أن تخلى بينه وبيننا ؟.. فإن كان يريد ملكا سودناه ، وإن كان يريد مالا أغنيناه ، وإن كان يريد طباً طببناه !

يتكرر الطلب من قريش ، وعلى رأسها أبو سفيان بن حرب بن أمية ، يتكرر ، وهنا يلتفت محمد ليقول لعمه :

« . . . والله يا عم : لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى ، على أن ترك هذا الأمر ليظهره الله أو أهلك دونه ، ما تركته .

---

(١) سورة الشعراء من ٢١٤ — ٢١٦ .
(٢) سورة الحجر ٩٤ .
(٣) ابن الاثير وابن هشام .

https://archive.org/details/@user082170

وهنا لم يتمالك أبو طالب أمام هذا الإيمان الغزير ، والإخلاص الوفير ، إلا أن يقول : اذهب يا ابن أخى ، فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشىء تكرهه أبدا !

### ٤٠ قريش تعذب محمداً وأتباعه

وهنا تأخذ المسألة مظهراً آخر ، فليس محمد وحده وحفنة من أتباعه ، ولكن هناك بنو هاشم وبنو عبد المطلب — ولو أنهم لا يتبعونه فى دينه — يمنعونه من إيذاء قريش له ، متأثرين بالعصبية القومية وبالخصومة القديمة بين بنى هاشم وبنى أمية، ومتأثرين أكثر وأكثر بإخلاص محمد لدينه ، وشدة إيمانه بفكرته.

نعم تأخذ المسألة وجهاً آخر ، عند ما تنشط قريش نشاطاً ليس له مثيل فى إيذاء المسلمين ، فتثب كل قبيلة على من فيها من المسلمين : فبلال الحبشى يُرمى على الرمل عارياً تحت الشمس المحرقة ، ويوضع حجر على صدره ويترك ليموت أو يكفر بمحمد ، فلا يسمع منه إلا قوله : «أحَدٌ ، أحَدٌ»[1] مما جعل أبا بكر مع فقره يشتريه ويعتقه كما اشترى غيره . وكذلك عمار بن ياسر ، وأبوه وأمه ، تعذبهم بنو مخزوم حتى يشرفوا على الموت ، وكذلك نرى أم جميل امرأة أبى لهب ، تلقى النجس أمام بيت محمد ، فيضطر لإزالته بنفسه ، وأبا جهل يلقى على النبى حين صلواته فضلات الشياه المذبوحة للأصنام ، فيضطر إلى أن يذهب لابنته فاطمة لإزالته ، وكذلك نرى الشعراء تسبه ، وقريشاً تأتمر به ، حتى أن رجلا منهم قد حاول قتله عند الكعبة ، وكذلك نرى منزله يرجم بالحجارة دائماً .

### ٤١ أتباع محمد يهاجرون الى الحبشة

زاد بالمسلمين وبمحمد أنواع التعذيب وألوان الإيلام ، حتى هاجر بعضهم

---

(١) أى الله واحد ، الله واحد

إلى الحبشة مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم ، فخرجوا فى هجرتهم الأولى أحد عشر رجلا وأربع نساء .

وكان ذلك أيضاً بمثابة سفارة للنجاشى بالإسلام ، وطمعاً فى أن يرجعوا لمحمد وهم أصحاب شوكة وقوة ، ولكنهم يرجعون إلى مكة عند ما يشاع لديهم أن المسلمين فيها أضحوا فى أمان من أذى قريش ، غير أنهم يرون كذب ما وصل إلى سمعهم ، فاضطروا إلى الهجرة ثانية ، وكانوا حينئذ ثمانين رجلا غير نسائهم وأطفالهم ، وظلوا بها إلى ما بعد هجرة محمد إلى يثرب .

نعم : قبل ذلك أسلم حمزة بن عبد المطلب ، وبعد ذلك أسلم عُمَر ، ولكن لازالت قريش هى قريش الطاغية ، التى تأتمر بمحمد وبأتباعه ، بل حفزها إسلام هذين إلى عمل حاسم سيما بعد أن حلف عمر : ألاّ يترك مكاناً أعلن فيه الكفر ، إلا أعلن فيه الإسلام .

٤٢ **قريش تقاطع محمداً وآله**

رأت قريشاً ما تقدم ، ورأت أن كل ما فعلته لم يثن محمداً عن الدعوة ، ولم يثن بنى هاشم وبنى عبد المطلب عن الحماية ، فكتبت فيما بينها كتاباً ، تعاقدت فيه على مقاطعتهم مقاطعة تامة ، فلا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، وعلقوا هذه الصحيفة فى جوف الكعبة تسجيلا لها وتأكيداً .

ولكن لم يزدهم ذلك الحصار وهذا التجويع ، الذى دام ثلاث سنوات ، إلا اعتصام محمد وأتباعه بدين الله ، وإلا حمايته والذّود عنه من آله قريش ، وذويه بنى عبد مناف .

٤٣ **محمد يفقد الزوج والكفيل**

نزل بعد ذلك بمحمد من المصائب والرزايا ما نزل كالصاعقة أو أشد ،

https://archive.org/details/@user082170

فقد مات أبو طالب كفيله أولا ، وحاميه ثانياً ، ومانعه ثالثاً ، وقبل ذلك بقليل ماتت خديجة ، زوجه وسنده ، وراعيته وناصحته ، وأول من أسلم به .

### ٤٤ محمد يعرض نفسه على القبائل

لم يكن ما حل بمحمد سبباً فى الشفقة عليه والرحمة به من قريش ، بل زادت إمعاناً فى الإيذاء والإيلام أكثر فأكثر ، وقد اخترعت لوناً جديداً من ألوان الاستهجان لدعوته ، راجمة إياه بالسحر حيناً ، وبالكهانة حيناً آخر ، وبالجنون ثالثة ، وبأن ما يقوله ما هو إلا أساطير الأولين ، اكتتبها ؛ فهى تُملى عليه بكرة وأصيلا .

نعم أخذت قريش تعلن ذلك ؛ بين هؤلاء الذين يفدون إلى مكة كل عام حاجين ومعتمرين ، أو متنافرين فى سوق عكاظ ومجنة وذى المجاز ، حتى يقضوا على الأثر الذى يتركه محمد فى نفوس هؤلاء عند اتصاله بهم ، ناشراً دعوته ، قارئاً قرآنه طالباً حمايته .

### ٤٥ ثقيف تهزأ بمحمد

وعند ما رأى محمد أن قريشاً قد صمّت آذانها عن دعوة الله ، وسماع كلمة الإسلام ، طلب استنباتها فى حقول جديدة مجاورة لمكة ، أملا فى أن تؤتى أكلها بإذن ربها ، فذهب إلى الطائف حوالى سنة ٦٢٠ م يطلب من ثقيف العون على قومه ، والنصرة لدينه ، فلما رحل إليهم ، عَمَدَ إلى ثلاثة منهم وهم سادتهم وقتئذ ، وكانوا عبديا ليل ، ومسعود ، وحبيب ، بنو عمرو بن عمير ، فقال له أحدهم بعد أن بسط محمد دعوته ، وقدم لهم طلبته : والله إنى أمرّط[1] ثياب الكعبة إن كان الله قد أرسلك ، وقال ثانيهم : والله لا أكلمك أبداً . فلئن كنت رسولا من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطراً من أن أردّ عليك

(١) أمزّق .

الـكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ، فما ينبغى لى أن أكلمك ، وقال ثالثهم : أما وجد الله أحداً غيرك ليرسله ؟!

فقال لهم : إذاً اكتموا خبرى عن الناس — إذ كَرِهَ محمد أن يبلغ الخبر قريشاً — فلم يفعلوا بل أغروْا به سفهاءهم ، فاجتمعوا إليه يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه ، وألجأوه إلى حائط بستان فجلس إلى ظله مناجيا ربه :

اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، اللهم يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تَكِلْنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ، أو إلى عدو ملـكته أمرى ، إن لم يكن بك علىّ غضب فلا أبالى ، ولـكن عاقبتك هى أوسع ، إنّى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات ، وصَلُحَ عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بى غضبك أو تحلّ بى سخطك ، لك العُتْبَى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك[1] ، وأخيراً رجع إلى مكة كما ذهب .

٤٦ **قبائل العرب جميعا ترفض دعوته**

ثم يأتى كِنْدَه فيدعوها لحمايته ، وحمل دعوة الإسلام فتأبى عليه ، ثم يأتى بطن عبد الله من كلب فيخبرهم خبره ، فيرفضوا السماع له .

ثم يأتى بنى حنيفة ؛ فيردونه رداً قبيحاً ، ثم يأتى بنى عامر ، فيقول له رجل منهم : إن نحن بايعناك فأظهرك الله على من خالفنا ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟؟ فيقول محمد : الأمر لله يضعه حيث يشاء ، فيقولون : أفنهدف نحورنا للعرب دونك ، فإذا ظهرت كان الأمر لغيرنا !! لا حاجة لنا بأمرك[2] .

---

(١) ابن هشام ص ٢٥١ ج ١ ، ابن الأثير ج ٢ ص ٤٣ .
(٢) ابن الأثير ج ٢ ص ٤٤ .

https://archive.org/details/@user082170

وكذلك أتى بنى عبس وبنى سليم وغسان وبنى محارب وبنى فزارة وبنى مرة وبنى عذرة والحضارمة[1] .

٤٧ **محمد يتخذ ايام الحج موسما للدعاية ، وقريش تتخذها موسما للتشهير !!**

وكان محمد يعرض نفسه أيضاً فى مواسم الحج على كل قادم ، يتوسم فيه السؤدد والشرف قائلا : إنى رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه ، من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى وتصدقونى وتمنعونى ، حتى أبيّن عن الله ما بعثنى به .

وبعد أن يفرغ من قوله ، كثيراً جدا ما يبرز من ورائه رجل وضيء ، له غديرتان ، وعليه حلة عدنية ، وهو عمه أبو لهب قائلا :

« يا بنى فلان : إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم ، إلى ماجاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه ، ولا ترفعوا بقوله رأساً ، فإنه مجنون يهذى ، وإنه ابن أخى وهو كذاب !! »

فيردون عليه ردًا قبيحاً ويقولون له : أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم تتبعك !! ثم يرفضون قوله ، ولا يلبون دعوته .

٤٨ **محمد يخلو الى ربه والى نفسه ويفكر !!**

وها هو ذا محمد يجلس إلى نفسه ، ويخلو إلى ربه ، ويعرض عليه شكايته ويوضح له أمره وهو به أعلم منه .

ما هذا : إذن من سيلبى دعوتى ، وهى دعوة الله ؟!

إذن من سيحيي الإسلام ، والإسلام هو دين الله ؟ !

إذن من يمنع عنى وعن أتباعى إيلام قريش خاصة ، وإيذاء العرب عامة ، وقد تنمرت لى الأولى ، واستهزأت بى الثانية ؟!

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣ .

https://archive.org/details/@user082170

إذن : من سيقف بجوارى ؟ وقد عرضت نفسى على قبائل العرب جميعاً ، أفراداً وجماعات ، تجاراً وحجاجاً ، طائفين بالكعبة أو متنافرين بسوق عكاظ ومجنة وذى المجاز ، وكلهم يردوننى إلى إلهى ، ويهزأون بدعوتى .

إذن : من أين سينبثق النور ؟ وهو نور الله .

ومن هو القبيل الذى سيحيى دعوة الله ؟ وينشر دين الله ؟

إذن : من ذلك الذى سينقاد لكلمة الله ؟ فيقود الإسلام ويحمل الناس على اعتناقه .

نعم ... إن هؤلاء النصراء الحماة ، لا بد أن تكون لهم خصائص وميزات ، وطبائع هى فريدة بهم ، ولا شك ؛ كما أنه لا بد أن الله سيمدهم بروح من عنده ، وبأمر من لدنه ، وبفيض من قدسيته .

فيا ترى من هؤلاء ؟ ؟ ما أسعدهم ! ! وما أجزل ثوابهم ! ! فطوبى دارهم ! ! ونعم عقبى الدار .



https://archive.org/details/@user082170

# الباب الخامس

## الأوس والخزرج وكيف أصبحوا أنصاراً ؟؟



https://archive.org/details/@user082170

# الباب الخامس

## الأوس والخزرج وكيف أصبحوا أنصار الإسلام ؟؟

---

٤٩ **سويد بن الصامت الأوسي**

مِن هناك ... ومن يثرب ، قدم أحد الحجاج للكعبة ، وكان كاملا شريفاً ، لشعره الخلق العفيف ، وجَلَده ونسبه ، فتصدى له **محمد** ، ودار بينهما الحوار التالى :

محمـد : أدعوك إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والإيمان بقرآنه .

سويد : لعل الذى عندك مثل الذى عندى ؟

محمـد : وما الذى عندك ؟

سويد : حكمة لقمان .

محمـد : اعرضها على ؟

سويد : يعرضها شارحاً لها ، ومحبذاً إياها ، ومقرظاً لما فيها .

محمـد : إن هذا الكلام حسن ، ولكن الذى عندى أفضل منه ، هو قرآن ، أنزله الله نوراً على نور ، وأخذ يتلو شيئاً من القرآن ، وأخيراً دعاه إلى الإسلام .

سويد : تطيب نفسه ، وتنبسط أسارير وجهه ، ويقول : هذا حسن . ثم يغيب عن نظر محمد ، مفكراً فيما سمع ، مؤمناً بما أحس .

٥٠ **محمد يعرض الإسلام على الأوس طالبي حلف قريش**

ومن هناك أيضاً ... ومن يثرب ، يقدم إلى قريش بمكة ، أبو الحيسر أنس

https://archive.org/details/@user082170

ابن رافع الأوسى ، ومعه فتية من بنى عبد الأشهل ، فيهم إياس بن معاذ ، يلتمسون الحلف من قريش ؛ على قومهم من الخزرج[١] فتحالفوا مع قريش ، ولكن أبا جهل كان غائباً ، وعند حضوره طلب منهم رد المحالفة[٢] .

هنا يسمع محمد بهذه الجماعة ، فيأتيها ويجلس إليها ، ويدعوها إلى الإسلام ، ويتلو عليهم شيئاً من القرآن ، ثم يقول :

إن هذا الخير لكم مما جئتم إليه ، بايعونى واتبعونى ، فإنكم ستُجمَعون بى :

إياس بن معاذ : وكان غلاماً حَدَثاً : أى قوم ؟ هذا والله خير مما جئتم إليه .

أبو الحيسر : يأخذ حفنة من تراب، فيضرب بها وجه إياس قائلا : دعنا منك ، فلعمرى لقد جئنا لغير هذا .

إياس : يصمت ، أما محمد فيقوم إلى مكة ، وينصرف القوم إلى المدينة .

٥١ **المسلمون الأول عند العقبة الأولى**

ومن هناك ، ومن يثرب أيضاً ، وفى موسم الحج ، وعند العقبة ، يلقى محمد سبعة نفر من الخزرج ، هم : أسعد بن زراره ، وعوف بن الحارث ، وهما من بنى النجار ، ورافع بن مالك بن العجلان ، وعامر بن عبد حارثة ، وهما من زريق ، وقطبة بن عامر ، من بنى سلمة ، وعقبة بن عامر ، من بنى غنم ، وجابر ابن عبد الله ، من بنى عبيدة ، ودار بينهم وبين محمد الحوار التالى :

محمد : أمن موالى يهود ؟

اليثربيون : نعم

محمد : أفلا تجلسون أكلمكم ؟

---

(١) مر ذكر هذه القصة

(٢) ابن هشام ج١ ص ٢٥٨ ، ١٥٧ السمهودى وابن خلدون ج٢ ص ٢٥٧

https://archive.org/details/@user082170

اليثربيون : بلى ، ثم جلسوا .

محمـد : يدعوهم إلى الله ، ويعرض عليهم الإسلام ، ويخبرهم بأنه رسول الله إليهم خاصة ، وإلى الناس كافة .

٥٢ **همسات نفسية تجول بخواطر الرعيل الأول ، من الأوس والخزرج**

وهنا ينظر بعضهم إلى بعض متذكرين :

١ — قول اليهود لهم عند ما كانوا يختلفون معهم فى أمر ما : إن نبياً سيبعث الآن ، وقد أظلكم زمانه ، وسنتبعه ، ونقتلكم معه قتل عاد وإرم .

٢ — ومتذكرين أيضاً ومؤملين : أن قد يكون هذا الرجل هو الذى سيجمع كلمتنا ويوحد رأينا ، ويحمل إلينا الصفاء والسلام ، وقد عمل فينا الخلاف معوله ، ونخر سوس الفرقة عظامنا .

٣ — ومتذكرين أيضاً : الحياة الوثنية التى يحيونها ، وكانوا يتشككون فيها ، إذا ما قارنوها بحياة اليهود الروحية ، طامعين فى حياة روحية عربية خالصة .

٤ — ومتذكرين أيضاً : أن من خصالهم التى ورثوها ، حمى الضعيف وإجارة المستجير ، وإغاثة المستغيث .

٥ — ومتذكرين أيضاً : قوة إيمان محمد بدعوته . ولامسين مدى إخلاصه لدينه الجديد ، ولإلهه الأوحد .

٦ — ومتذكرين أيضاً ولامسين : أن دعوته وطلبه الحماية والمنعة ، صادفت من نفوسهم جميعاً هوى ، ومن قلوبهم محلا ، ومن ضمائرهم مستقراً ، نعم تذكروا كل هذا فقاموا قائلين :

لبيك لبيك ، اللهم إنا مجيبين لما دعوت ، مصدقين لما قلت ، نشهد ألا إله إلا الله ، ونشهد أن محمداً رسول الله ، وإنا قد تركنا وراءنا قومنا

https://archive.org/details/@user082170

— الأوس والخزرج — ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم !! فعسى أن يجمعهم الله بك ، وإن يجمعهم عليك فلا رجل أعز منك !!

هنا عاد اليثربيون إلى مدينتهم ، فذكروا لقومهم إسلامهم ، فألقوا منهم قلوباً كقلوبهم منشرحة ، ونفوساً كنفوسهم مستعدة ، لدين يوحد رأيهم ، ويجمع كلمتهم ، ويرضى من نفوسهم صفات المنعة والغوث ، التى هى ديدنهم ، ويرفعهم إلى حياة روحية ، كحياة اليهود بل أرقى ، وهى الحياة التى كانوا دائما يطمعون فيها ، ويصبون إليها ، ولهذا لم تبق دار من دور الأنصار ، إلا وفيها ذكر محمد ، وقد علمتْ ما هو ؟

**أول بيعة فى الإسلام أو العقبة الثانية**

٥٣

دار الفلك دورته ، وفى موسم الحج أيضاً ، وعند العقبة كذلك ، قابل النبى اثنى عشر رجلا من أهل يثرب ، أوسها وخزرجها وهم :

أسعد بن زرارة ، وعوف ومعاذ ، ابنا الحارث ، ورافع بن مالك بن عجلان ، وذكوان بن عبد قيس ، من بنى زريق ، وعبادة بن الصامت ، من بنى عوف ، ويزيد بن ثعلبة ، حليف الخزرج من بلى ، وعباس بن عبادة ، من بنى سالم ، وعقبة بن عامر ، وقطبة بن عامر . وهؤلاء جميعاً من الخزرج ، وهم عشرة ، وكذلك أبو الهيثم بن التيهان ، حليف بن عبد الأشهل ، وعويم بن ساعدة ، وهما من الأوس [١] .

وهنا يسجل التاريخ أول بيعة فى الإسلام ، كما يسجل وضع الحجر الأساسى فى سبيل الدعوة الإسلامية ، لحمايتها ونشرها ، ولو أنها بيعة فى سبيل الجهاد الروحى ، والسمو الخلقى ، فلا حرب فى بنودها ، ولا استلال السيف من موادها ، ولهذا سميت بيعة النساء .

---

(١) ابن الاثير ج ٢ ص ٤٥ — ابن هشام ج ١ ص ٢٥٩ .

https://archive.org/details/@user082170

نعم هى بيعة ، كما قال عبادة بن الصامت الخزرجى على :

ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف .

ثم يقول لهم محمد بعد ذلك : فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئا ، فأخذتم بحده فى الدنيا ، فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة ، فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذب ، وإن شاء غفر[١] .

هنا يتحمّس اليثربيون ويبايعون ، ويطلبون من محمد أن يرسل معهم من يثقفهم ، فى أمر دينهم ، ويؤمهم فى صلواتهم .

فيرسل معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ، أول داعية فى الإسلام ، ويأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، وهناك ينزل ضيفا على أسعد بن زرارة الخزرجى ، فكان يقرئ المسلمين القرآن ، ويفقههم فى الدين ، ويبسط لهم أحكام الإسلام ، ويعلمهم الفرائض من صلاة وصيام .

ومن أساليبه فى الدعوة هذه الصورة التى هى من صور الدعاية للإسلام فى المدينة[٢] .

٥٤ **كيف أسلمت رجالات الأنصار «الأوس والخزرج» ؟؟**

ها هو ذا مصعب بن عمير بن هاشم القرشى ، يتبع أسعد بن زرارة الخزرجى ، مضيفه وحاميه بيثرب ، وكبير المسلمين آنئذ ، ثم ينتحيان ناحية من الأرض ، ويبعثان إلى رهط من الناس ، فيجتمعون حولهما ، فيأخذ مصعب فى الحديث عن الإسلام ، وعن قصص القرآن ، وعن الجنة والنار .

وفى أثناء حديثه ، إذا بسعد بن معاذ الأشهلى الأوسى ، يقف عليهم فى

---

(١) ابن هشام جزء ١ ص ٢٦١ .
(٢) ابن هشام ج ١ ص٢٦٢ ، ابن الاثير ج ٢ ص٤٦ ابن عساكر ج ٣ ص٥١

لامته[1] ورمحه ، قائلا بسخرية واستهزاء :

غلام يأتينا فى دارنا ، وحيداً طريداً غريباً ، ليسفه ضعفاءنا بالباطل ، ويدعوهم إلى شيء لا نعرفه ! ! إرحلا ، فنحن لا نرى لكما جواراً « وكانا بمكان مجاور لمنازل بنى عبد الأشهل » ، وفعلا رحل مصعب وأسعد .

ولكن الإيمان قوىّ والنشاط فوار ، ومصعب دءوب على الدعوة ، وأسعد دءوب كذلك على الحماية ، فيرجعا ثانية ، ويجلسا بجوار بئر هناك ، قريباً من منازل بنى عبد الأشهل أيضاً ، ليعرضا أمرهما على ورّاده ، والمجتمعين حوله .

فيسمع بخبرهما سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير الأشهليان الأوسيان ، وكلاهما مشرك على دين قومه ، وهنا يبدأ الحوار التالى :

سعد بن معاذ : متحدثاً لأسيد بن حضير : لا أبالك ! ! إنطلق إلى هذين الرجلين ، اللذين قد أتيا دارينا ، ليسفها ضعفاءنا ، فازجرهما عن أن يأتيا هنا بعد الأن ، فإنه لولا أن أسعد ابن زرارة من حيث قد علمت ، لكفيتك ذلك ، إذ هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدماً .

أسيد بن حضير : يأخذ حربته ويقبل عليهما .

أسعد بن زرارة : « هامساً لمصعب بن عمير » ، انظر هذا المقبل ، إنه سيد قومه قد جاءك ، فاصدق الله فيه .

مصعب : إن يجلس أكلمه .

أسيد بن حضير : يقف عليهما شاتما قائلا : يا أسعد ! مالك ولنا ، تأتينا بهذا الرجل الغريب ، تسفه معه ضعفاءنا .

أسعد بن زرارة : أو تجلس ، فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته نكف عنك ما تكره .

---

(١) درعه

https://archive.org/details/@user082170

أسيد بن حضير : أنصفت ، ثم ركز حربته وجلس .

مصعب بن عمير : يحدث فى الإسلام ، ويعرض آى القرآن ويبشر وينذر . . .

أسيد بن حضير : « يُرى فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم به » . ما أحسن هذا الكلام ! ! كيف يصنع الرجل إذا أراد أن يدخل فى هذا الدين ؟ ؟

مصعب بن عمير : يغتسل ، فيتطهر ، ويُطهر ثوبيه ، ثم يشهد شهادة الحق ، ثم يُصلى .

أسيد بن حضير : يقوم إلى البئر فيغتسل ، ويتطهر ، ويُطهر ثوبيه ، ثم يشهد شهادة الحق ، ثم يُصلى ركعتين ، ثم يقول : إن ورائى رجلا ، إن يتبعكما لن يتخلف عنه أحد من قومه ، وسأرسله لكما الآن ، هو سعد بن معاذ ، ثم يأخذ حربته ، وينصرف إلى سعد وقومه ، وهم جلوس فى ناديهم ، ينتظرون ما سيفعل .

سعد بن معاذ : لجلسائه ، أحلف بالله ، لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به .

أسيد بن حضير : — حين وصوله موجها الكلام لسعد بن معاذ — إنى كلمت الرجلين ، فوالله مارأيت منهما بأساً وقدنهيتهما ، فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد علمت أن بنى حارثة ، قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة الخزرجى بن خالتك ليقتلوه .

سعد بن معاذ : ينهض مغضباً مهرولا خوفا مما سيحدث ، ولكنه عند ما يصل إلى أسعد بن زرارة بن خالته ، ومصعب بن عمير ، يجدهما

https://archive.org/details/@user082170

مطمئنين ، فيعرف أن أسيداً قال ذلك ، ليحمله على المجيء إليهما ، والسماع منهما ، ثم يوجه الكلام لابن خالته :
يا أبا أمامة ، والله لولا ما بيني وبينك من صلة القربى ، ما رُمت هذا مني ، أتغشانا في دارنا بما نكره ؟ !

أسعد بن زرارة : لمصعب بن عمير ، عند رؤيته سعداً مقبلا : جاءك والله سيد من وراءه قومه ، إن يتبعك ، لا يتخلف عنه إنسان .
ثم يوجه الكلام إلى سعد بن معاذ : ألا تجلس ياسعد فتسمع ؛ فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟

سعد بن معاذ : أنصفت !! ثم ركز الحربة وجلس ، وأخذ مصعب بن عمير يعرض الإسلام ، ويتحدث بأحاديث الدعوة المحمدية ، وأخيراً يُرى في وجه سعد إشراقة الإسلام ، وسرور الاطمئنان ، ثم يقول لهما : كيف يصنع الرجل إذا أراد الدخول في هذا الدين .

مصعب بن عمير : يقوم فيغتسل ، ويطهر ثوبيه ، ويشهد شهادة الحق ، ثم يصلي ركعتين .

سعد بن معاذ : يقوم فيغتسل ، ويطهر ثوبيه ، ويشهد شهادة الحق ، ثم يصلي ركعتين ، ثم يأخذ حربته عامداً إلى نادي قومه ، ومعه أسيد بن حضير .

رجالات الأوس : — متهامسين في ناديهم وهم ينتظرون زعيميهما قائلين :
والله لقد رجع إلينا سعد بغير الوجه الذي ذهب به .

سعد بن معاذ : — موجها كلامه لرجالات الأوس — . يابني عبد الأشهل ويا زعماء الأوس !! كيف تعلمون أمري فيكم ؟؟

https://archive.org/details/@user082170

بنى عبد الأشهل : سيدنا وابن سيدنا ، أفضلنا رأياً ، وأيمننا نقيبة .

سعد بن معاذ : إن رجالكم ونساءكم على حرام !! حتى تؤمنوا بالله ورسوله .

وفعلا ، ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة ، إلا مسلما أو مسلمة .

وبمثل هذه الصورة ، وعلى تلك الوتيرة ، انتشر الإسلام بين الأوس والخزرج أولاد قيلة . اللهم إلا أبو قيس بن الأسلت ، وحوله جماعة من الأوس .

ظل مصعب يعمل ويعمل ، ولو أنه انتقل من حماية أسعد بن زرارة الخزرجى ، إلى حماية وضيافة سعد بن معاذ ، نعم ظل يعمل ويعمل ، إلى أن قرب موسم الحج ، فذهب إلى مكة ليقص على محمد عليه السلام خبر المسلمين بالمدينة ، ويبشره بعددهم ومَنَعَتِهم ، ويخبره بقرب مجيئهم إلى مكة هذا الموسم ، وهم أكثر عدداً ، وأعز نفراً ، وأقوى إيماناً ، وأخلص فئةٍ لدين الله ، ولدعوة محمد .

**٥٥ محمد يخلو الى ربه والى نفسه ويفكر من جديد**

هنا يخلو محمد بربه وبنفسه ، ويعاوده التفكير كما فكر قبل ذلك ، أولا : حين طردته ثقيف ، ورماه صبيانها بالحجارة ، وضاقت به الأرض بما رحبت ، وكما فكر ثانياً : حين استقبله جماعة من الأوس والخزرج ، وبايعوه بيعة العقبة الثانية ، فيفكر من جديد ثالثا : لأنه مقدم الآن على بيعة صادقة ، وحلف قوى ، ذى أثر بعيد فى تاريخ الإسلام : محدثا نفسه قائلاً : هل هؤلاء الأوس والخزرج : هم القبيل الذى اختاره الله لينشر رسالتى ؟ ويحمل رايتى ، ويحمى دعوتى ، فيصبحون أنصار رسول الله ، يؤونه وينصرونه ؟؟

https://archive.org/details/@user082170

وهل يثرب : هى البلد الذى ستهاجر إليه أتباعى ؟ ويفر إلى تـلاعه مسلمو قريش ، منه تنبثق الدعوة الإسلامية ، وتنتشر فى جَنَبَاته الدعوة المحمدية ، وتصبح مركزاً للبعوث والغزوات ، ومحوراً للفتوح والسرايات ، وتضحى مدينة الرسول ، وبلد الله الأمين ؟!

حقاً : إن يثرب بها زرع وعنب ونخيل ، فيها أولاد قيلة أصحاب العدد والمنعة ، نعم إن بها اليهود ، ولكنهم عن المسلمين ساهون ، وبها المشركون كذلك ، ولكنهم عن دعوة الدين الجديد لاهون .

إذاً قد أوشك أو كاد ، أن يأتى نصر الله إن لم يكن قد أتى ، وأن تكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة المشركين هى السفلى .

حقاً : إن يثرب ستصبح عند ما تتوثق الصلات بين محمد وبين الأوس والخزرج ، وبعد ثلاث عشرة سنة من جهاد عنيف ، وعند ما ينفذون البيعة الصادقة ، لا على الجهاد الخلقى والروحى فحسب ، ولكن على الجهاد بالسيف فى سبيل الله ، والبيعة على الجهاد بالمال وبالروح وبالولد ، لإعلاء كلمة الله ، نعم ، ستصبح يثرب حينئذ مدينة الرسول حقا .

## ٥٦ بيعة العقبة الكبرى الثالثة هى بيعة على حماية الإسلام بالدم والروح

فهاهم أولاء الحاج من يثرب ، يكثرون فى هذا الموسم من سنة ٦٢٢م ، فقد كانوا خمسة وسبعين ، كلهم مسلمون من رؤوساء وأشراف عرب يثرب ، ثلاثه وسبعين رجلا وامرأتين ، فيتراسل زعماؤهم مع محمد سراً ليواعدهم ، وليلتقوا معه عند العقبة أيضاً ، فى أواسط أيام التشريق ، وفى نهاية الثلث الأول من الليل .

ولذا ، نرى مسلمى يثرب يكتمون أمرهم عن مشركيها ، فيتسللون مستخفين حذر أن ينكشف سرهم ، وهناك وفى المكان الموعود يتكاثرون

https://archive.org/details/@user082170

وينتظرون ، وتنتظر معهم المرأتان كذلك ، حقاً أنهم ينتظرون لا نبيًّا فحسب ، بل رسالة جديدة ومستقبلا جديداً .

هاهو ذا محمد يقبل ، ومعه عمه العباس بن عبد المطلب — وكان لا يزال على دين أهله — وقد حضر معه لأنه عرف أن ستكون هناك مبايعة ، أو محالفة بين اليثربيين « الأوس والخزرج » وبين محمد الذى هو الآن فى حمى بنى هاشم ، وبنى عبد المطلب ، الذين سيكونون أيضاً بهذا الحلف الجديد حلفاء الأوس والخزرج أيضا ، فالعباس يحضر ليستوثق لابن أخيه ولنفسه ، نائباً عن بنى هاشم وبنى عبد المطلب .

وبعد أن يطمئن محمد إلى أن عيون قريش عن اجتماعه هذا غافلة ، فقد كان أبو بكر يقف على فم الطريق ، وعلىّ يقف على فمه الآخر .

وبعد أن استقر المقام به وبعمه العباس ، دار بينهما وبين الأوس والخزرج الحوار التالى(١) :

العباس بن عبد المطلب : يا معشر الخزرج ، إن محمداً منا حيث قدعلمتم ، وقد منعناه من قومنا . فهو فى عز ومنعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم ، واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون : أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون : أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده .

عبد الله بن رواحة : يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت .

---

(١) ابن هشام جزء ١ ص ٢٦٥ . السيرة الحلبية جزء ٢ ص ١٤ و ٢٠ . ابن الأثير جزء ٢ ص ٤٧ . السمهودى ص ١٦٢ .

https://archive.org/details/@user082170

محمـــد : يتلو شيئا من القرآن ، ويرغب فى الإسلام ، ويدعو إلى الله ثم يقول : اشترط لربى : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، واشترط لنفسى : أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

البراء بن عازب : آخذاً بيد محمد قائلا : نعم والذى بعثك بالحق ، لنمنعك مما نمنع منه ذرارينا ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحروب ، وأهل الحلقة ، ورثنا هنا كابراً عن كابر ،

أبو الهيثم بن التيهان : يا رسول إن بيننا وبين الرجال — اليهود — حبالا ، ونحن قاطعوها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ ؟

محمـــد : — مبتسما — بل الدم الدم ، والهدم والهدم ، أنتم منى ، وأنا منكم ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم .

الأوس والخزرج : يهمون بالبيعة .

العباس بن عبادة الخزرجى : يعترضهم قائلا : يا معشر الخزرج[1] ، أتعلمون علام تبايعون هذا الرجل ؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون : أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة ، وأفنت أشرافكم الحرب أسلمتموه ، فمن الآن فدعوه ، فهو والله إن فعلتم ، لخزى الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون : أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، على نهكة الأموال ، وقتل

---

(١) وكانت العرب تطلقه على الاوس والخزرج معا ؛ لان القوة ، والمنعة ، والرجال ، كانوا فيهم — ابن الاثير ج ٢ ص ٤٧ .

https://archive.org/details/@user082170

الأشراف ، نخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة .

الأنصار : « الأوس والخزرج » إنا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ، فما لنا يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك ؟

محمد : « مطمئن النفس » لكم الجنة .

عبادة بن الصامت : بايعناك على السمع والطاعة ، فى عسرنا ، ويسرنا ، ومنشطنا ، ومكرهنا ، وأن نقول الحق أينما كان ، لا نخاف فى الله لومة لائم .

الأوس والخزرج : نعم ابسط يدك .

محمد : يبسط يده .

الأوس والخزرج : على هذا بايعنا الله ورسوله

محمد : اخرجوا إلىّ منكم إثنى عشر نقيباً ، يكونون على قومهم بما فيهم كفلاء

الأوس والخزرج : يختارون من بينهم إثنى عشر نقيباً « تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس » ثم يرجعون

أحد النقباء : يانبى الله ! ها هم نقباؤنا وكفلاؤنا :

١ — سعد بن عبادة الخزرجى } نقيبا بنى ساعدة
٢ — المنذر بن عمرو الخزرجى }
٣ — أسعد بن زرارة الخزرجى — نقيب بنى النجار
٤ — سعد بن الربيع الخزرجى } نقيبا بنى الحارث
٥ — عبد الله بن رواحة الخزرجى }
٦ — رافع بن مالك الخزرجى — نقيب بنى زريق

https://archive.org/details/@user082170

٧ — البراء بن معرور الخزرجى } نقيبا بنى سلمة
٨ — عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجى

٩ — عبادة بن الصامت الخزرجى — نقيب القواقل أو بنى عدى

١٠ — أسيد بن حضير الأوسى — نقيب بنى عبد الأشهل

١١ — سعد بن خيثمة الأوسى } نقيبا بنى عمرو بن عوف
١٢ — رفاعة بن عبد المنذر الأوسى

محمد : «للنقباء» أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومى.

النقباء : نعم

العباس بن عبادة الخزرجى : والله! والذى بعثك بالحق! إن شئت، لنميلنّ على أهل منًى غدا بأسيافنا؟

محمد : لم أومر بذلك، ارجعوا إلى رحالكم.

٥٧ قريش تركب أم رأسها

الآن طابت نفس محمد، وطابت نفس العباس، فيرجعا إلى مكة هادئين مطمئنين، والآن كذلك طابت نفس الأنصار، وقد أصبحوا أنصار الله، وأنصار رسول الله من هذه اللحظة، فرجعوا إلى رحالهم هادئين مطمئنين كذلك.

أما قريش؛ فلم تطب تلك الليلة، ولم تهدأ ولم تطمئن، فما أصبح الصباح حتى جاءوا إلى الأوس والخزرج فى منازلهم بمكة، يستنبؤنهم الخبر ويستوضحونهم الأمر، فيقولون لهم: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وأنه والله ما من حى من العرب، أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم.

https://archive.org/details/@user082170

٥٨ **قريش تطارد سعد بن عبادة**

وهنا ينبعث نفر من مشركى يثرب يفندون رأيهم ، حيث لم يروا محمداً بينهم ، ولكن القرشيين يتأكدون الخبر ، فيجرون وراء أولاد قيلة مسرعين ، فيدركون سعد بن عبادة الخزرجى ، فيأخذونه ويربطون يديه إلى عنقه ، ثم يقبلون به حتى يدخلوه مكة ، يضربونه ويجذبونه بجُمَّتِه ، وكان ذا شعر كثير .

وهنا يقول سعد بن عبادة : فوالله إنى لفى أيديهم ، إذ طلع علىَّ نفر من قريش ، فيهم رجل وضىء ، أبيض شعشاع[1] ، حلو من الرجال ، فقلت فى نفسى : إن يك عند أحد من القوم خير ؛ فعند هذا[2] ! فلما دنا منى رفع يده فلكمنى لكمة شديدة فقلت : والله ما فى القوم خير بعد هذا ، فو الله إنى لفى أيديهم يسحبوننى ، إذ غمز رجل منهم نخذى وقال :

هل كان بينك وبين أحد من قريش عهد ؟ فقلت : نعم ، كنت أجير للمطعم بن عدىّ ، والحارث بن أمية ركائبهما إذا قدموا علينا ، فقال : لا أبالك ! اهتف بالرجلين . ففعلت ، فذهب إليهما فقال : إن هذا الرجل الذى فى أيدى نفر من قريش يعبثون به ، يهتف بكما ، ويزعم أن بينه وبينكما جواراً ، فقالا : من هذا ؟ فقال : سعد بن عبادة ، فقالا : صدق والله ، إنه كان ليجبر لنا تجارتنا ، ويمنع أن نظلم ببلده ، ثم جاءانى وخلصانى من أيديهم ، فانطلقت إلى المدينة .

٥٩ **قريش تمنع المسلمين من الهجرة لتجدد ايذاءهم**

وكذلك نجد قريشاً وقد ملأها الغيظ ، وعمل الحقد فى قلوبها عمله ، لم يكفها أن تعذب المسلمين الذين بين ظهرانيهم ، بل تريد الإبقاء عليهم

---

(١) الشعشاع : الطويل الحسن .     (٢) وكان هو سهيل بن عمرو .



https://archive.org/details/@user082170

لتجدد تعذيبهم ، فكانت تمنعهم من المهاجرة ، وكان معظم المسلمين يهاجرون سراً ، وقليل من يهاجر علناً (١) ، فمن كان مستضعفاً عُذّب وأهين ، ومن كان قوياً بنفسه ، وبقبيله ، وبنسبه ، فاز بالهجرة علناً ، فلا يقدر أحد من قريش على التعرض له بأذى .

٦٧

٦٠ صور من تعذيب قريش للمسلمين

أما الصورة الأولى فتراها مع أبى سلمة بن عبد الله المخزومى ، عند ما يخرج من مكة مهاجراً إلى المدينة ، ومعه أم سلمة زوجه ، وابنه فى حجرها ، يركبان بعيراً يقوده هو ، فيراه رجال من قوم زوجه ، فينزعون خطام البعير من يده ، آخذين زوجه ومعها ابنها ، ثم يأتى رجال من قوم أبى سلمة نفسه ، آخذين الطفل الصغير من أمه ، فهم أولى بابنهم .

وهكذا فرقت قريش بين أبى سلمة الأب ، إذ ذهب إلى المدينة لا يلوى على شىء !! وبين أم سلمة الزوجة والأم ، إذ منعها قومها من زوجها ، ومنعها آل زوجها من ابنها !! وبين ابن أبى سلمة الطفل ، إذ احتفظت به آله لأبيه !!

٦٢

أما الزوجة وهى كلها وفاء لزوجها ولابنها ، فقد كانت تخرج كل غداة إلى ظاهر مكة ، وعلى طريق المدينة ، علها تجد من ترحل معه ، وظلت هكذا مدة عام كامل .

وأخيراً رق لها أحد بنى أعمامها وقال لآله : أما ترحمون هذه المسكينة ، وقد فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟ ، وأخذ على عاتقه إرسالها إلى زوجها واحتضانها طفلها ، وفعلا رحّلها هى وابنها سراً ، وخرجت تريد يثرب وليس معها أحد !! (٢)

---

(١) لأن محمدا قد أمر المسلمين بالهجرة إلى يثرب ، بعد بيعة العقبة الكبرى .
(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٧ .

https://archive.org/details/@user082170

نعم خرجت وليس معها أحد ، إلا قلبها العامر بالإيمان ، وهو كل شىء !!
وإلا إله محمد يرعاها ويحفظها ، وهو نعم الراعى ، ونعم الحفيظ !!

٦١ **عمر القوى المهاجر وقريش المتخاذلة**

أما الصورة الثانية فنراها مع عمر بن الخطاب عند ما أراد الهجرة كذلك ، وهو من قوة الجسم ، وصلادة القلب ، ومنعة النسب والقبيل ما نعرف ، فنراه يتقلد سيفه ، ويعد قوسه ، ويهيئ فى يديه سهامه ، ويعلق حربته فى خاصرته ؛ ويمضى نحو الكعبة ، وملأ قريش يملؤها ، فيطوف بالبيت سبعاً ، ويأتى المقام فيصلى به ركعتين ، ثم يقف عليهم قائلا بأعلى ما فيه من صوت ، وبأقوى ما لديه من إيمان :

من أراد أن تثكله أمه ، أو يؤتم ولده ؛ أو ترمل زوجه ، فليلقنى وراء هذا الوادى ؟!

ثم يسير ... نعم يسير نحو المدينة وما تبعه أحد !![1]

٦٢ **كيف هاجر صهيب ؟!**

ومع هذا فنحن نرى صورة ثالثة مما كان يفعله القرشيون مع المهاجرين ، هذه الصورة هى ما حدثت مع صهيب ؛ ولو أن ذلك كان بعد هجرة النبى إلى المدينة ، إذ يقول عن نفسه :

عند ما هممت بالخروج صدنى فتيان من قريش قائلين :

جئتنا فقيراً صعلوكا فكثر مالك ، وتريد أن تخرج بمالك وبنفسك ، لن يكون هذا أبداً ! فقلت لهم : أرأيتم أن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى ؟ فقالوا : نعم .

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٨ .

https://archive.org/details/@user082170

٦٤ قال صهيب[1] : فإنى قد جعلته لكم ، ولما بلغ المدينة ورآه النبى قال له : رَبِحَ البيع ، ربح البيع ، ربح البيع ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ .

### ٦٣ من مكة الى المدينة أيها الرعيل الأول

بعد البيعة الكبرى التى تمت على يد العباس بن عبد المطلب ، أذن رسول الله فى الهجرة للمسلمين من مكة بلد القريب العدو ، إلى يثرب بلد الغريب النصير ، نعم أذن لهم فى الهجرة من بلد الأعداء إلى بلد الأنصار ، فهاجروا زرافات ووحداناً ، قبل هجرته إلى المدينة ، وفى هذا الزمن القصير[2] الذى لا يزيد على ثلاثة أشهر هاجر جميع المسلمين ، ولم يبق بمكة إلا النبى وأبو بكر وعلى وصهيب ، وبعض المرضى أو المحبوسين ، ونزلوا ضيوفاً على إخوانهم بنى الأوس والخزرج . وكان أول من هاجر :

أبا سلمة وزوجه ، وقد تقدمت قصتهما ، ثم عامر بن ربيعة وزوجه كذلك ، ومصعب بن عمير «للمرة الثانية» وابن أم مكتوم ، وعمر بن الخطاب ، وزيداً أخاه ، وطلحة بن عبيد الله ، وحمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، وعبيدة ابن الحارث ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وعياش بن أبى ربيعة ، وعبد الله بن جحش ، وعبيدة بن الحارث ، وأبو حذيفة ، وغيرهم[3] .

---

(١) صهيب هذا — كما حكى ابن كثير — قد أسرته الروم وهو صغير ، عند ما أغارت على أطراف دجلة والفرات ، فباعته إلى بنى كليب فحملوه إلى مكة ، فابتاعه منهم عبد الله بن جدعان ثم أعتقه ، فأقام بمكة ، ثم لما بعث الرسول أسلم هو وعمار بن ياسر فى يوم واحد . الحلبية ج ٢ ص ٣١ .

(٢) إذ كانت المبايعة فى ذى الحجة ، وهجرته إلى المدينة فى ربيع الأول .

(٣) السمهودى ١٦٧ — ابن الأثير ج ٢ ص ٤٨ .

https://archive.org/details/@user082170

## قريش تتآمر على محمد

أحست قريش بعد ذلك أنها أفلست فى كل شىء فعلته لمنع محمد من تسفيه أصنامها ، كما أفلست كذلك فى كل شىء فعلته لمنع الناس من سماع قرآنه ، واتباع كلمته ، كما أفلست كذلك فى ردهم عن اتباع هذا الدين ، مع أنها فعلت الأعاجيب !

وكذلك أفلست فى منع القبائل من السماع لدعوته وحمايته ، فقد اتبعه الأنصار ، وآمنت به يثرب ، التى فتحت أبوابها وبيوتها بأيدى أنصارها لمهاجرى المسلمين .

فهم الآن يخرجون من مكة زرافات ووحدانا إلى المدينة ، لتكون لهم معقلا ، ولمستقبلهم مصدراً ، ولم يبق بين قريش إلا محمد وأبو بكر وعلى .

ومَن هو محمد ؟ هو رأس الفتنة وكبير المفتونين ، إذن لن يطير كما طار سابقوه ، ولن يفر فى جنح الليل كما فر أتباعه ، وإلا فالويل لنا ، والثبور علينا وحوالينا .

تجتمع قريش وتجتمع ، وأخيراً تتآمر ، نعم تتآمر فى دار ندوتها ، وكانوا كلهم من وجهاء قريش وأساطينها ، وعلى رأسهم أبو جهل وأبو سفيان وغيرهم ، ودار بينهم الحوار التالى :

أحد المتآمرين : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، وإنا والله لا نأمنه على الوثوب علينا ، فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فاجمعوا فيه رأياً ، ونفذوا فيه كلمة .

أبو البخترى بن هشام : احبسوه فى الحديد ، وأغلقوا عليه باباً ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه الذين كانوا قبله ، حتى يصيبه ما أصابهم من الموت والهلاك .

أحد المتآمرين : لا والله ما هذا لكم برأى !! فلئن حبستموه كما تقولون ، ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فيثبوا عليكم وينزعوه من أيديكم .

الأسود بن ربيعة : نخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا ، فوالله ما نبالى أين يذهب .

أحد المتآمرين : لا والله ما هذا لكم برأى أيضاً ، ألم تروا حسن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه ، حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم ، حتى يطأكم فى بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد .

أبو جهل بن هشام : والله إن لى فيه رأياً ما أراكم وقفتم عليه !

المتآمرون : — بلهفة — وما هو ؟

أبو جهل : أرى أن نأخذ من كل قبيلة شاباً فتى جلداً نسيباً وسيطاً ، ثم نعطى كلا منهم سيفاً صارماً ، ثم يعدوا إليه ، فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه ، وهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعاً ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم أجمع ، وهنا رضوا منا بالدية ، فندفعها لهم كائنة ما كانت !

المتآمرون : والله نعم الرأى ما قلت يا أبا جهل .

وهنا يتفرق المتآمرون ، وكلهم فرح بما وفقوا إليه من

https://archive.org/details/@user082170

رأى ، وكلهم مصمم على تنفيذ ما اتفق عليه من خطة ، مفكرين فيمن سيُختار ؟ ومن سيكون له هذا الشرف العظيم ؟!

٦٥ **جبريل ومحمد وأبو بكر يضعون خطة الهجرة الى مدينة الأنصار**

نعم تفرقت قريش وأساطينها ، وهم فرحون بما وصلوا إليه ، وما اتفقوا عليه ، وما دروا أن هناك بمكة ، وعلى بعد خطوات منهم ، سيحدث مايحدث .

نعم ، إذ يجتمع المؤتمر الذى يبحث فى الحياة ، كما اجتمع مؤتمرهم الذى قرر الموت .

الله : وإذ يَمْكُرُ بِكَ الذينَ كَفَرُوا لِيثبتوكَ أو يَقْتُلوكَ أو يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُون ويَمْكُرُ الله واللهُ خيْرُ المَاكرِينْ .

جبريل : يا محمد لا تبت هذه الليلة فى فراشك الذى كنت تبيت عليه !!

محمد : يوافق ، ثم يقول : يا على ! نم على فراشى هذا ، وتسجَّ بِبُردى ذلك الحضْرَمىّ الأخضر ، وإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم ، وها هى ذى الودائع فردها لأصحابها ، ثم الحق بى بعد ذلك .

على : فداك أبى وأمى يا رسول الله !!

محمد : يخرج وقت العتمة ، وفتيان قريشُ الذين انتشروا حول داره لتنفيذ مؤامرتهم فى غفوة وسكرة ، قائلا : شاهت الوجوه ، متحدثاً مع ربه بقوله :

يسٓ ، والقُرآنِ الحَكيمِ ، إنكَ لَمِنَ المرْسَلين ، عَلَى صِراطٍ مُسْتَقيم ، تنزيلَ العَزيزِ الرَّحيمِ ، لِتُنْذِرَ قوماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غافِلُون ، لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ على أكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤمِنُون ، إنا جَعلْنا فى أَعْنَاقِهِمْ أغلالاً فَهِيَ إلى الأَذْقَانِ فَهُم مُقْمَحُون ، وَجَعَلْنا مِنْ

https://archive.org/details/@user082170

بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (١) .

ثم يذهب إلى منزل أبى بكر ، فيستأذن فى الدخول عليه ، فيؤذن له ثم يجلس معه قائلا : اخرج عنى من عندك .

أبو بكر : إنما هما ابنتاى يا رسول الله ، ماذا حصل ؟؟ فداك أبى وأمى يا نبى الله !!

محمد : إن الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة .

أبو بكر : — بلهفة — الصُّحبة الصحبة يا رسول الله ؟!

محمد : باطمئنان ، نَعَمْ الصحبة .

أبو بكر : يجهش بالبكاء من شدة الفرح قائلا : يا نبىّ الله ؛ إن هاتين راحلتان ، قد كنت أعددتهما لهذا ، وقد استأجرت عبد الله بن أرقط للقيام على رعيهما ، وليكون دليلنا ، فهو خير خبير بالطريق .

محمد : يظهر الرضا والاطمئنان .

أبو بكر : أما أنت يا عبد الله « ابنه » فعليك أن تتسمع ما يقول الناس ، ثم تأتينا فى المساء بالأخبار .

وأما أنتِ يا أسماء « ابنته » ، فعليك أن تأتينا بالطعام كل مساء .

وأما أنتَ يا عامر « مولاه » ، فعليك أن ترعى الغنم ، ثم تقودها بعد رجوع ولدىّ من مخبئنا ، فتعفى على آثارهما ، حتى لا يكشفنا القصاصون .

محمد : هيا بنا !!

ثم يقود أبا بكر إلى خوخة فى ظهر بيته ليخرجا منها ، عامدين إلى غار بجبل ثور وبأسفل مكة ، وهناك يختبآن ثلاثة أيام ، حتى تسكن ثائرة قريش ،

---

(١) سورة يس .

https://archive.org/details/@user082170

وحتى تطمئن إلى أنها لن تعثر عليهما أبداً[1] .

وكانت تأتيهما الأخبار ، ويصل إليهما الطعام كل مساء .

وأخيراً طلب أبو بكر إلى عبد الله بن أرقط دليلهما ، أن يحضر راحلتيهما وراحلة له ، فساروا على بركة الله ، ومعهم كذلك عامر مولاه .

نعم على بركة الله ، شدت الرحال إلى المدينة هاربين من مكة !!

نعم من مكة ؛ بلد الأهل وكلهم عدو ومكذب ، إلى يثرب ؛ بلد الأوس والخزرج ، وكلهم نصير ومصدّق !!

لا ... لا ... لم تعد يثرب ، ولكنها أصبحت بلد الله المختار ، ومدينة الرسول .

ولم يصبحوا بعد ؛ أولاد قيلة والأوس والخزرج ، بل أضحوا **الأنصار** ، أنصار الله ، وأنصار رسول الله .

إذاً فلتسمع البشرية ، وليسجّل التاريخ .

---

(١) وفعلا بعد أن كشفت قريش خبر خروجه من منزله ، جعلت مائة ناقة لمن يرده إليها ، ولكن خاب ظنها ، ولم تجدها نوقها نفعاً .

https://archive.org/details/@user082170

# الباب السادس

## محمد بين قلوب الأنصار ، وفى شعاب مدينة الرسول

---



https://archive.org/details/@user082170

# الباب السادس

## محمد بين قلوب الأنصار ، وفى شعاب مدينة الرسول

٦٦ **الأنصار يحسون التبعة**

بايع الأوس والخزرج محمداً البيعة الكبرى ، فرجعوا وهم يحسون مسئولية ضخمة ، فهم الآن حماة دعوة ونبوة ، هم الآن وعن قريب سترميهم العرب جميعاً ، وعلى رأسهم قريش صاحبة الكعبة ، وأشرف قبيل فى شبه الجزيرة ، نعم سترميهم العرب جميعاً عن قوس واحدة ، وفى ذلك هلاك الأموال ، وقتل الأولاد ، وفناء الأشراف ، وموت النفوس ؛

نعم رجع أولاد قيلة ، وهم يفكرون فى ذلك ... ويفكرون ...

٦٧ **الأنصار على استعداد لحمل العبء**

ولكن ... أليسوا هم أولاد الحلْقة ، ورثوها كابراً عن كابر ؟ !

ولكن ... أليسوا هم أولاد الحرب وقد عركوها ، وأولاد المعارك وقد شبوها ؟ !

ولكن .. ألم تنشب بينهم حرب سمير وحرب فارع ... وحرب حاطب وحرب بعاث ، فكافح أسودُها أشبالَها ، فيها تمرنوا على القتال ، وبين صليلها مارسوا فنون الحرب والجلاد ؟!

ولكن ... ألم يحارب أوسُهم خزرجَهم فى سبيل ضيف يقتل ، أو رهينة تراق دمها ، وماذاك بجوار رجل كريم ينزل بيننا ، ورجالات يحلون بديارنا ، فيطلبون حمايتنا فى صراحة ، ويرغبون منَعتنا فى جلاء ووضُوح ، وهم ماهم عليه من شرف المحتد ، وكرم النسب ، وأرومة الأصل والفرع .

https://archive.org/details/@user082170

٦٨ من حرب العار الى حرب الفخار

ولكن ... ما هى معاركنا ضد بعضنا ، التى أفنت الصغير والكبير ، بجانب ماننتظر من حروب شاملة ، وحوادث جليلة ، إلا تافه حقير ، فأسباب معاركنا الخاصة تحقرنا ، وتجعلنا مهزأة للعالمين ، أما حروبنا المقبلة ، أما أسبابها ، والدوافع إليها ، فهى المفخرة لنا ولأولادنا من بعدنا ، فها نحن أولاء نحمى الضعيف ونمنع المطرود ، ونرعى ذماء المستجير ؛ نفعل كل ذلك : فنحيي تلك الصفات العالية ، صفات البطولة الخالدة ، صفات إجارة المستجير ، وإغاثة الملهوف ، وإعانة المكروب ، وحماية المطرود ، وهذه هى الصفات التى ورثناها عن أجدادنا الأولين ، يوم كانوا سادة اليمن ؛ وعن آبائنا الأقربين سادة يثرب .

٦٩ من حرب المادة الى حرب المبدأ

نعم ؛ وأكثر من هذا ... فنحن كنا نتقاتل ، فيُحارب بعضنا بعضاً ، يحارب أوسنا خزرجنا ، فنستل سيوفنا معلنين الحرب العوان ، والحرب الشعواء ، متعللين بأنها ليست من أجل رجل حليف ، ولا من أجل وجه ملطوم ، ولكنها الكرامة لأنفسنا نحميها ، والعزة لحلفائنا نوفرها ونقدسها .

نعم ... ما هذا كله بجوار عقيدة آمنا بها ، ودعوة صدقناها فلبيناها ، وإيمان رسخ بين شغاف قلوبنا ، وإخلاص لمحمد استقر بين حبات نفوسنا

٧٠ من حرب فى سبيل الصنم الى حرب فى سبيل الله

ألم تكن هذه الدعوة الروحية ، التى يدعو إليها محمد ، وقرآن محمد ، هى شبيهة بتلك الدعوة التى رأينا اليهود يقومون بالدفاع عنها ، وبالدعاية لها ؟؟

ألم نحس فيما بيننا فى كثير من الأحيان ، أننا نعبد الحجر ، ونقدس

https://archive.org/details/@user082170

الصنم الذى نصنعه بأيدينا ؟ وكان اليهود يرموننا بالجهل ، وقصر النظر ، ويقولون عن آلهتنا إنها لا تضر ولا تنفع ! !

ألم نحسّ حينئذ بوخز فى الضمير ، وضآلة فى الحجة ، حيث كنا لا نعرف لذلك دفعاً ، ولا لهذا رداً ؟

ألم نحسّ الآن ؛ أن هذه دعوة روحية كريمة ؟ أتت على لسان أصدق رجل فى بيته ، وبيته هذا أكرم بيت فى قريش ، وقريش تلك هى صاحبة السيادة الدينية ، فهى حامية البيت وسادنة الكعبة ؟!

ألم نحس الآن أكثر وأكثر ؟ وقد سمعنا محمداً ، وقَرأْنا قرآن محمد ، وفهمنا بتعاليم محمد ، أنها ليست من عنده ، وأنها بعيدة عن أن تكون من اختراعه ، فما يقول هذا بشر .

لا ... لا ... إنها والله لدعوة الحق والإيمان ، إنها والله لدعوة الصدق واليقين ، إنها وإلهى لدعوة الله رب الكون ، وخالق الناس .

إذاً ... فلنكن نحن الأوس والخزرج وقودها ، ولنكن جندها ، ولنكن بُعَّاثها ، ولنكن حاملو دعوتها ، وناشرو رايتها ، ننل الحمد فى الدنيا ، والمثوبة فى الآخرة ، ولا نبغى من ذلك الأرضى ربنا ، وطاعة نبينا .

إذاً ... والله لن نبال ، ولو خرجت علينا العرب جميعاً .

إذاً ... والله لن نبال ، ولو اجتمعت الإنس والجن ، وكان بعضهم لبعض ظهيراً .

## يثرب تستعد لتصبح مدينة الرسول

٧١

فكر الأوس والخزرج فى كل هذا ، فرجعوا إلى يثربهم ، وقد عزموا العزم الأكيد ، وصمموا التصميم النهائى ، على أن يكونوا أنصار محمد ، وأنصار الإسلام ، وأنصار الله ، ففكروا فى أن يجعلوا من المدينة مكاناً طاهراً ،

https://archive.org/details/@user082170

لا صنم يعبد فيها ، ولا اسماً غير اسم الله يتلألأ فى جوها ، ولا مشركاً يحيا بين ظهرانيها .

### ٧٢ الولد يتحدى أباه لأنه طاعة الله أولا

نعم .. هم يجدون حين رجوعهم ، أن فى قومهم بقايا من شيوخهم ، يقدسون الأصنام ، ويعبدون الأحجار ، ومن هؤلاء العم والأب والجد ، وعمرو بن الجموح الخزرجى من بين أولئك الآباء ، فقد كان له صنم من خشب يقال له : « مَناة » ، قد اتخذه فى منزله على عادة الأشراف يعظمونه ويوقرونه ، ويقدّمون بين يديه القرابين ، ولما أسلم فتيان بنى سلمة ، وعلى رأسهم معاذ بن عمرو بن الجموح هذا ، ومعاذ بن جبل الخزرجى ، أحسوا أن بقاء ذلك الصنم بحيّهم ، سبة لهم وعاراً عليهم .

ولكن .. للعم حرامة ، وللأب حرمات ، وهنا تأخذهم الثورة النفسية ، وتتملكهم هذه الحيرة التعصبية ، خاصة معاذ بن عمرو هذا ، فهل يستنصر لأبيه ، وهو العربى الذى يعرف معنى التعصب للأب الكبير ، والشيخ الجليل ؟! أو يستنصر لدينه ، وهو الذى يعمر قلبه بالإيمان ؟!

وأخيراً وبعد معارك نفسية ، نراهم يدلجون بالليل على الصنم ، فيحملونه ويطرحونه منكساً على رأسه ، فى بعض حفر بنى سلمة المملوءة بفضلات الناس ، حيث كانوا يتخذونها محلا لقضاء حاجاتهم .

حتى إذا ما أصبح الصباح ، بحث عمرو هنا وهناك عن صنمه ، وأخيراً يجده فى مكانه ذلك ، فيحمله إلى منزله ، ثم يغسله ويطهره ، ويطيبه قائلا :

والله لو أعلم من فعل هذا لأخزينه !!

ولكن فتيان بنى سلمة يعيدون الكرة على صنم شيخهم العجوز ليلا ، فيأتى به عمرو صباحا ، ثم يعيدونها ثالثة ورابعة ، وعمرو يأتى به كذلك .

https://archive.org/details/@user082170

وأخيراً .. يحدّث عمرو صنمه قائلا : إنى والله لا أعلم من يصنع بك ما ترى ، فإن كان فيك خير فامتنع ، فهذا السيف معك ، وها أنذا أعلقه عليك .

فلما أتى المساء ونام عمرو ، غدا عليه فتيانُ بَنِى سَلَمة كعادتهم ، وأخذوا السيف من عنقه ، ووضعوا بدلا منه كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ، ثم ألقوه فى بئر من آبارهم . ولما أصبح عمرو بن الجموح الخزرجى ، ولم يجد صنمه ، بحث عنه .. وأخيراً وجده فى تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت ، فلما رآه هكذا أحسّ خسارة قضيته ، إذ كيف يعبد صنما لم يحمِ نفسه ؟! ولم يدفع الأذى عن جسمه ؟!

ولهذا أسلم وحسن إسلامه ، وقال فى صنمه مخلداً قصته :

والله لو كنتَ إلهاً لم تكنْ أنت وكلبٌ وسْطَ بئر فى قرَنْ

الحمد لله العلىّ ذى المِنَنْ الواهب الرزّاق ديّان الدِّيَنْ

هو الذى أنقذنى من قبل أنْ أكون فى ظلمةِ قبرٍ مرتهَنْ

بأحمد المهدىّ النبىِّ ذى المِنَن

٧٣ **خشب الأصنام صدقة**

وكذلك نرى صورة أخرى ، يحدثنا بها على كرم الله وجهه ، عند نزوله من مكة إلى المدينة ، وحينما نزل بقباء مع النبى إذ يقول :

كانت هناك .. وبقباء ، امرأة مسلمة لا زوج لها ، فرأيت إنساناً يأتيها من جوف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطيها شيئاً معه ، فتأخذه منه ، ولكنى استربت بشأنه فقلت لها : يا أمة الله ، من هذا الرجل الذى يضرب عليك بابك كل ليلة ؟ فتخرجين إليه فيعطيك شيئاً لا أدرى ما هو ؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ، قالت هذا سهل بن حنيف بن

واهب الأنصارى ، وقد عرف أنى امرأة لاأحد لى ، فإذا أمسى غدا على أصنام قومه فكسرها ثم يجيئنى بها قائلا : احتطبى بهذا [١] .

نعم هاتان صورتان وهما وربى لونان جديران بالنظر والإنعام ، فالمسلمون الجدد أو الأنصار ، حقاً صادقون فى إيمانهم ، حقاً صادقون فى جهادهم حتى ضد أنفسهم ، وما الجهاد ضد النفس إلا الجهاد الأكبر ، فكيف إذا وجهوا للجهاد الأصغر ، ضد عدو خارجى يدعونه لدين الله ، ولإعلاء كلمة لإسلام ؟

وبمثل هاتين الصورتين ، يأخذ الأوس والخزرج على عاتقهم تهيئة يثرب ورجال يثرب ، وبيئات يثرب ، وأحياء يثرب ، فينشرون المساجد فى كل حىّ ، ويقيمون الصلاة فى كل مكان ، ويدعون للاسلام كل فرد ، ويكسرون الأصنام أينما كانت ، وأيا كان صاحبها ، ولو كانت لآبائهم وأشرافهم .

فعلوا كل هذا لتصبح مدينتهم مدينة الإسلام ، وقاعدة للمسلمين .

٧٤ **الأنصار يستقبلون قائدهم**

وعند ما يسمع الأنصار بالرسول ، وقد خرج من مكة ومعه صاحبه ، ينتظرونهما ثلاثة أيام كاملات ، لأنهم ما حسبوا الأيام الثلاثة التى احتواهما فيها الغار ، فكانوا ينتظرون من أول النهار ، وما يردهم إلا حر الشمس وأوارها ، وكان كل واحد يريد أن يكون أول محيّى لمحمد ، وأول مرحب بلقاء رسول الله .

٧٥

سرت تلك العدوى ؛ عدوى اللهفة على لقاء النبى ، وعدوى التشوق للقاء ذلك الذى سيصبح بعد ساعات سيد الأوس والخزرج ، بل سيد يثرب جميعاً ، سرت تلك العدوى إلى اليهود أنفسهم ، فنرى أحدهم ، « وكان من المنتظرين » يصيح قائلا :

يا بنى قيلة ! هذا صاحبكم قد جاء ، فيفزع المسلمون إلى سلاحهم ، وكانوا

---

(١) اجعليه لك حطباً ووقوداً .

https://archive.org/details/@user082170

حوالى خمسمائة ، ويقابلون رسول الله بظاهر المدينة ، وعلى فرسخين منها عَدَل بهم عن الدخول إليها ، ونزل بقباء إحدى ضواحيها ، وفى حيّ بنى عمرو بن عوف الخزرجى(١) .

وهناك ... يجلس النبى تحت ظل نخلة ومعه أبو بكر ، وهو فى مثل سنه وملبسه ، وما كان أكثر الأنصار يعرفونهما ، فما كانوا يدرون أيهما رسول الله ؟ حتى زال الظل عن الرسول ، فقام أبو بكر فأظله بردائه ، وحينئذ عرفه الأنصار ، وقد رأوا فيه الاطمئنان النفسى ، والهدوء الروحى ، حتى قال قائلهم وكان لم يره أبداً : والله إن وجهه ليس بوجه كذاب(٢) .

وبقبـاء ظل الرسول أربعة أيام ومعه أبو بكر ، وفى تلك المدة أسس مسجده هناك ، وكان عبد الله بن رواحة الخزرجى يقول ، حين كان هو وغيره من الصحابة يعملون فيه :

أفلح من يعالج المساجدا فيرد عليه النبى قائلا — المساجدا

ثم يقول : ويقرأ القرآن قائماً وقاعدا فيرد عليه النبى قائلا — وقاعدا

ثم يقول : ولا يبيت الليل عنه راقدا فيرد عليه النبى قائلا — راقدا(٣)

٧٥

**الى قلب مدينة الرسول بل الى قلوب الأنصار**

ثم يخرج محمد عليه السلام يوم الجمعة ، سائراً إلى قلب المدينة ، فتدركه هناك ، فيصلى ويخطب(٤) بأحد مساجد بنى سالم بن عوف الخزرجى ، وهناك

---

(١) السمهودى ص ٦٨٢ . (٢) السمهودى ص ١٨٨ .

(٣) السمهودى ص ١٨١ .

(٤) وخطبة الجمعة هذه هى أول خطبة خطبها عليه الصلاة والسلام هناك ، إذ بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال : أما بعد : أيها الناس ! قدموا لأنفسكم تعلمن ، والله ليصعقن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ، ألم يأتك رسولى فبلغك ؟ وآتيتك مالا وأفضت عليك ، فما قدمت لنفسك ، فلينظرن يميناً وشمالا فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدامه ، فلا يرى غير =



https://archive.org/details/@user082170

٧٧

تقابله رجالات الأوس والخزرج ، أو بعبارة أدق بل أحق : الأنصار ، ثم يعرض عليه رجالات بنى سالم الإقامة عندهم فى العدد والعدة والمنعة ، فيعتذر لهم ، ويمتطى ناقته القصواء التى أهداها له أبو بكر[1]

٧٦

## آيات الفرح وأهازيج السرور

ثم سارت القافلة وتحرك الركب ، أو بعبارة أخرى ؛ وقفت جموع المدينة الحاشدة على أرجلهم فتحركت أجسادهم ، وهتفت قلوبهم ، وتمايلت نفوسهم ، بتمايل قصواء رسولهم .

نعم . . . فكل شىء وضىء بالمدينة ، فالرجل لابس أثمن ما لديه ، والمرأة تتحلى بأغلى ماعندها ، والفتاة تزغرد ، والحبشان يلعبون بحرابهم ، ويضربون بدفوفهم ، والصبايا تضرب بالدفوف طالبات ذهاب محمد إلى حيهن مترنمات :

نحن جوارٍ من بنى النجار ــ يا حبذا محمدٌ من جار

والولدان والصبيان ينشدون :

طلع البدر علينا ــ من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ــ ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا ــ جئت بالأمر المطاع

أما ذوات الخدور ؛ فإنهن يتطلعن إلى موكب الرسول من فوق أسطح منازلهن .

---

= جهنم ، فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ، ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(١) انفق أبو بكر على رسول الله ، أربعين ألف درهم على ناقته ، وعلى عائشة ، وعلى رحلته ، وعلى شرائه بلال .

https://archive.org/details/@user082170

وهنا .. كان الموكب الحافل قد وصل إلى منازل بنى بياضة ، فأمسكوا بعناق ناقة الرسول قائلين : يا رسول الله ! هلم إلينا ، إلى العدد والعدة والمنعة ، فيجيبهم الرسول بقوله الذى لا يغيره حتى لا يغضب أحداً : خلوا سبيلها فإنها مأمورة .

فلا يملكون إلا السمع والطاعة ، فهو الآن قائدهم المحترم رأيه ، بل نبيهم المطاع أمره .

ثم يبدأ الركب فى السير ، وتبدأ القصواء فى التمايل ، وتمايل الجموع الحاشدة ، بتمايل القصواء التى تزهو على نياق العرب أجمعين ، حتى تصل إلى منازل بنى ساعدة ، فيمسكون بزمام ناقته قائلا كبيرهم سعد بن عبادة الخزرجى : هلم يا رسول الله ! إلى العز والثروة ، والقوة والمنعة ، فيقول كلمته المعهودة : يا أبا ثابت ! خل سبيلها فإنها مأمورة[١] .

ثم يبدأ الركب من جديد ، فينزل منازل بنى الحارث بن الخزرج ، فيعترض الناقة أسعد بن الربيع ، وعبد الله بن رواحة الخزرجيين ، آخذين بخطام الناقة ، قائلين : هلم يا نبى الله ! إلى العدد والعدة والمنعة ، فيقول : خلوا سبيلها فإنها مأمورة .

ثم يبدأ الركب فى السير من جديد ، حتى ينزل منازل بنى عدى بن النجار بن الخزرج[٢] فيعترضها رجالهم قائلين : هلم إلينا يا رسول الله !

---

(١) السمهودى ص ١٨٣ .

(٢) هم أخوال النبى ، إذ أن هاشم بن عبد مناف تزوج امرأة منهم عند مروره بالمدينة فى تجارة له ، وهى سلمى بنت عمرو النجارى ، وقد ولد له منها ولد ، ولكن هاشماً مات ، فظل مع أمه حتى مر به قوم من قريش ، فأبصروه وقد ترعرع وهو =

https://archive.org/details/@user082170

فيقول لهم كلمته : خلوا سبيلها فإنها مأمورة .

ثم تنطلق أخيراً .. حتى تأتى دار بنى مالك بن النجار الخزرجى ، فتبرك على باب المسجد هناك ، ثم ينزل عنها الرسول ، فيحتمل أبو أيوب النجارى الخزرجى الأنصارى حمله ويضعه فى منزله ، والنبى ناظر إليه ، بينما وجوه بنى النجار وعلى رأسهم أسعد بن زرارة ، يلح عليه كل منهم فى النزول عنده ، فيقول كلمته التى صارت مثلا : المرء مع رحله .

٨٩

### الأنصار يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة

٧٨

وظل النبى بمنزل أبى أيوب ، حتى تم بناء مسجده ، وكان منزله متواضعاً غاية التواضع ، فيحدثنا أبو أيوب نفسه قائلا :

لما نزل علىّ رسول الله فى بيتى ، نزل فى السفل ، وأنا وأم أيوب فى العلو ، فقلت له : يانبى الله ! بأبى أنت وأمى ، إنى لأكره أن أكون فوقك وتكون تحتى ، فاظهر أنت فكن فى العلو ، وننزل نحن فنكون فى السفل ، فقال رسول الله : يا أبا أيوب ، أنه لأوفق بنا وبمن يغشانا ؛ أن نكون فى أسفل البيت . ولهذا ظللنا فى العلو ، ورسول الله فى السفل .

وفى إحدى المرات .. انكسر إناء لنا فيه ماء ، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة مالنا لحاف غيرها ، ننشف بها الماء ، تخوفاً أن يقطر على رسول الله منه شىء فيؤذيه .

---

= ينتضل بالنبل قائلا : أنا القرشى ، فانتبهوا إليه وعرفوه ، ثم عند رجوعهم إلى مكة أخبروا عمه المطلب بن عبد مناف خبره ، فذهب إلى مكة فجاء به ، فدخل مكة وهو مردفه وراءه ، فظنت قريش أنه عبده ، فقالت : هذا عبد المطلب ، وهنا غلب عليه الاسم هكذا : ص ١٧١ السمهودى .

https://archive.org/details/@user082170

أما طعامه عليه السلام فيحكى عنه أبو أيوب :

إننا كنا نضع له العشاء ، ثم نبعث به إليه ، فإذا رد علينا فضله ، تحسست أنا وأم أيوب موضع يده ، فأكلنا منه نبغي بذلك البركة .



### مظاهر تكريم الأنصار لرسول الله

كانت الأنصار تتقرب إلى النبي بالهدايا ، رجالا ونساء ، وكانت أم سليم تتأسف على ذلك ، وما كان لها شيء ، فجاءت بابنها أنس وقالت للنبي : ليس لدىّ ما أعطيك إياه يا رسول الله ، فهذا ابنى جئت به ليخدمك ، فقبل الرسول منها ذلك[1] .

وقد تتابعت الهدايا على منزل أبي أيوب ، فيحدثنا زيد بن ثابت الأنصارى ، أنه قد حمل إليه أول هدية ، وهى قصعة مملوءة خبزاً من البر وسمناً ولبناً ، ووضعها بين يدى النبي وقال : هذه قصعة بعثتها أمى إليك ، فدعا لها ! ثم دعا أصحابه فأكلوا معه ، ثم يقول :

وبينما أنا بالباب إذا بقصعة سعد بن عبادة الخزرجى ، على رأس غلام له مغطاة ، فكشفتُ غطاءها لأنظر ، فرأيت ثريداً عليه لحم ، وأىّ لحم !! فدخل بها على رسول الله .

ويقول زيدٌ أيضاً : مامضت ليلة والنبي فى منزل أبي أيوب ، إلا وكنا ثلاثة نحمل الطعام فيما بيننا متناوبين .

ظل النبي هناك سبعة أشهر ، وما كانت تفوته جفنة سعد بن عبادة الخزرجى ، وجفنة أسعد بن زرارة الخزرجى ، وقد كان يحضر طعامه دائماً وأبداً ، من خمسة إلى ستة عشر رجلا .

---

(١) ص ١٩٣ السمهودى .

https://archive.org/details/@user082170

وكان سعد بن عبادة يرسل له نوعاً من المرق محبوباً للقرشيين يسمى : الطُّفَيْشل .

٨٠ **هنا بنى القائد عرينه ومسجده**

وفى حى بنى النجار الخزرجى ، بنى النبى مسجده ، وتعاون المهاجرون والأنصار على بنائه متنافسين ، فكنت ترى هنا . . . وهناك . . . حركة دائمة ، وعملا مستمراً ، وأراجيز ترتجزها الجماعات العاملة .

فمن قائل :

لا عيش إلا عيش الآخرة     اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

إلى قائل :

لا يستوى من يعمر المساجدا     يدأب فيه قائماً وقاعدا
ومحمد يرى عن الغبار حائدا

إلى غير ذلك[1] .

---

(١) ابن هشام ص ٢٩٨ ج ١ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨١ .

## الباب السابع

## الأنصار بقيادة محمد يعالجون السياسة الداخلية والخارجية

---

محمد القائد ، والأنصار الجنود ؛ يفكرون ليذللون المصاعب الآتية :

### ا — الأنصار وحزازات الأوس والخزرج القديمة



### ب — الأنصار والوحدة بينهم وبين المهاجرين



### حـ — الأنصار واليهود



https://archive.org/details/@user082170

## ى — الأنصار وقريش

### أولا — الأنصار وقريش فى بدر



https://archive.org/details/@user082170

## ثانياً — الأنصار وقريش فى أُحد



## ثالثاً — الأنصار ويوم الأحزاب



https://archive.org/details/@user082170

اللهم إنا قد بلغنا الرسالة ، وأدينا الأمانة ، اللهم فاشهد !!

https://archive.org/details/@user082170

# الباب السابع

## الأنصار بقيادة محمد يعالجون السياسة الداخلية والخارجية

---

### محمد القائد ، والأنصار الجنود ؛ يفكرون

هذا محمد وقد استقر بالمدينة ، وقد شعر ببيئة أخرى تخالف بيئته بمكة مخالفة تامة ، فهو الآن بين الأنصار ، بين قلوب من الرجال ، وكلهم به مؤمن ، ولقوله مصدق ، جميعهم رجال حرب وجلاد ، فهو مطمئن على نفسه ، وعلى أتباعه ، بل وعلى رسالته .

هو الآن يفكر لرابع مرة . . . ويخلو لنفسه ولربه ، كما فكر أولا : عندما طردته العرب جميعاً وهزأت به ثقيف ، وثانياً : عندما بايعه الخزرجيون بيعة العقبة الأولى ، وثالثاً : عندما بايعه الأنصار بيعة العقبة الكبرى .

نعم . . . هو يفكر الآن ، ويمعن فى التفكير ، فيرى مشاكل ومصاعب ، داخل المدينة وخارجها ، يرى :

(١) حزازات الأوس والخزرج القديمة ، والتى قد تثار لأوهى سبب .

(٢) ما قد يقال عن المهاجرين ، رغبة فى التفريق بينهم وبين الأنصار .

(٣) مشاكل اليهود ، وهم بداخل المدينة وخارجها ، أصحاب الحول ، والمال ، والفكر .

(٤) قريشاً : وهى العدوّ الألدّ الخارجى .

(٥) المشركين والمنافقين : داخل المدينة نفسها .

https://archive.org/details/@user082170

وهنا ... سنتحدث عن كل عنصر على حدة ، ومدى ما قام به الأنصار بزمالة المهاجرين وبقيادة نبيهم ، للتغلب على هذه الصعاب :

## ١ — الأنصار وحزازات الأوس والخزرج القديمة

المسلمون من الأوس والخزرج ، قد ألف الإسلام بين قلوبهم حقاً ، ولكن العداوات القديمة ، لا زالت بينهم مذكورة ، والحزازات المتأصلة فى النفوس ، يمكن أن تحيا ، وتعود جَذَعة ، لأوهى الأسباب .

٨١ **الأوس والخزرج حتى بعد إسلامهم لا يتزاورون !!**

فعندما ينزل النبى بمنازل بنى عمرو بن عوف الأوسيين ، يبحث بين الجالسين عن أسعد بن زرارة الخزرجى ، فلا يجده ، فيسأل عنه ؟ فيرد عليه أحد بنى عمرو الأوسيين : إنه قد أصاب منا رجلا يوم بعاث يا رسول الله ، ولهذا فهو لا يأتى دارنا ، ولا نأتى داره ، فيسكت رسول الله على مضض ، واضعاً يده على بيت الداء ، وأس التفرقة !!

٨٣

وكذلك يرى النبى : أنه عندما يحل بحىّ من أحيائهم ، لا يجد حوله إلا أبناء الحى فقط ، لأن الأوس ما كانت تأتى منازل الخزرج ، والخزرج ما كانت تأتى منازل الأوس .

٨٢ **كيف عالج النبى هذه العداوات القديمة ؟؟**

وقد عالج النبى هذه المشاكل الاجتماعية علاجا سريعاً ، وناجحاً ، وبسيطاً سهلا ، فيقول لأسعد بن زرارة ، عندما يأتى إليه ليلا ، وبعد أيام ، ومتقنعاً : يا أبا أمامة ؛ جئت من منزلك إلى ها هنا ، وبينك وبين القوم ما بينك ؟!

https://archive.org/details/@user082170

أبو أمامة أسعد بن زرارة } والذى بعثك بالحق نبياً ، ما كنت لأسمع بك فى مكان إلا جئتك فيه ، ثم يبيت عند رسول الله حتى يصبح .

محمــــد : « لرجال بنى عوف الأوسيين » : أجيروا أبا أمامة .

بنو عوف : أجرْهُ أنت يا رسول الله ! فمن تستجره فهو جارنا .

محمــــد : ليذهب إليه أحدكم .

أحد بنى عوف : يذهب إلى أسعد بداره ، ويحضر معه ، ويده فى يده .

الأوس جميعاً : كلنا نجيره يا رسول الله :

وهنا أصبح أسعد بن زرارة الخزرجى ، يغدو ويروح ، آمناً مطمئناً .

٨٣ **ألا ترضون أن أكون نقيبكم ؟؟**

وكذلك عند ما مات أسعد بن زرارة النجارى الخزرجى ، يتحدث بنو النجار إلى النبى ، ويطلبون منه اختيار نقيب لهم ، فيقول : أنتم أخوالى ، أفلا ترضون أن أكون نقيبكم ؟!

بمثل هاتين الوسيلتين ، قضى محمد عليه السلام على ما بين الأوس والخزرج من عدوات ، وإحنٍ وأحقاد ، أسستها الحِقب ، ووطدت أقدامها الأزمان .

فإذا بنا نراهم يتزاورون فى دورهم ، ويؤاكل بعضهم بعضاً على موائدهم ، وتتلامس أكتافهم فى صفوف المساجد ، ويلبّون دعوة واحدة ، هى دعوة الصلاة ، ويتنافسون فى الحصول على أجر أوفى ، وجزاء أكمل ، بالعمل الطيب ، والفعل الصالح ، قائدهم الأعلى محمد ، وشريعتهم الكبرى الإسلام ، وكتابهم الكامل هو القرآن ، وهتافهم جميعاً : الله أكبر !! الله أكبر !

https://archive.org/details/@user082170

٨٥

## ب — الأنصار والوحدة بينهم وبين المهاجرين

٨٤ ما قد يقال للأنصار عن أنه يفرق بينهم وبين المهاجرين ؟!

نعم ... المهاجرون من أصل كريم ، وبيت له السيادة بين العرب ، وهم أول من اتبع محمداً ، وآمن بالدعوة ، فلهم فضل على فضل ، تركوا بيوتهم وأموالهم ، وهاجروا إلى يثرب ، عازفين عن كل شيء وراءهم ، اللهم إلا الإيمان يعمر قلوبهم ، والإخلاص للاسلام يكمن بين ضلوعهم .

ولكن ... كيف يعيشون ؟ ومن أين يأكلون ؟

حقاً ... إن الأنصار كانوا خير كريم ، وأكرم مضيف ، اقتسموا معهم كل شيء ، وفتحوا لهم بيوتهم بأيديهم ، يأوون إليها ، وموائدهم يحتلون منها أسمى المقاعد .

ولكن المنافقين من الأوس والخزرج ، واليهود من بنى إسرائيل ، عندما يريدون التفرقة بينهما ، يمكنهم أن يقولوا ، وفعلاً قالوا :

١ — المهاجرون لهم شرف القرابة من محمد ، فمحمد الرئيس ، فهم كذلك رؤساء بحكم العصبية ، وصلة الدم .

٨٦

٢ — الأنصار سيكونون وقوداً لهذه الحركة ، ولكن سيتمتع بخيرها ونخارها وعزها المهاجرون ، فهم عصبية الرسول ، وهم أول من آمن ، ومنهم الآن وزراء محمد ، ومستشاروه .

٣ — المهاجرون أتوا المدينة ، فأضحوا عالة على أهلها ، ومالها ، وزرعها ، وهى قبل حضورهم إليها ما كانت تعطى أهلها القوت إلا بشق الأنفس ، وكدّ السواعد ، فماذا يكون حال أهلها الآن ؟؟

https://archive.org/details/@user082170

٨٥ **المهاجرون يتكسبون العيش ولكن . . .**

نعم . . . إن بعض المهاجرين قد حضر ومعه بعض المال ، كما حصل لعثمان وأبى بكر وغيرهما ، وبعضهم قد قام ببعض الأعمال ، مثل عبد الرحمن ابن عوف ، فقد تبلّغ على العيش بما كان يتجر فيه من الزبد والجبن ، ومثل أبى بكر فقد كان يشتغل فى التجارة حيناً ، وبالزراعة أحياناً ، وكذلك عُمَرُ وعلىّ ، فقد اشتغلا بالزراعة أيضاً .

نعم . . . يمكن أن يقال هذا !! ولكن البعض الآخر قد حضر وليس معه شروى نقير ، فحمزة قد ذهب لابن أخيه محمد ، يطلب منه مساعدته على القوت ، وكثير من المهاجرين كان فى حالة عوز شديد ، لدرجة أنهم ما كان يمكنهم الحصول على المسكن الذى إليه يأوون ، فأفرد لهم النبى فى المسجد صُفّة — مكاناً مسقوفاً — إليها ينزلون ، وقرر لهم رزقاً من مال المسلمين به يتبلغون .

وكان عليه السلام يفرقهم على الصحابة وقت العشاء ، ويتعشى مع طائفة منهم ، قائلا لهم : لو تعلمون ما لكم عند الله !! لأحببتم أن تزدادوا فقراً وحاجة !

٨٦ **محمد يؤاخى بين المهاجرين والأنصار**

فماذا فعل محمد لسد هذه الثغرة ؟

آخى بين المهاجرين والأنصار ، والإخاء بين شخصين ، معناه : أن يصبح أحدهما أخاً للآخر ، عليه مواساته بكل ما يملك ، وله إرثه فى كل ما يتخلف عنه ، فالملابس تشطر بينهما ، والأموال هى حق لكل منهما ، حتى الزوجات كان الأنصارىّ يتخلى عن بعضهن طلاقاً ، ليتزوجها المهاجر حلالا ، وظل التوارث بينهما إلى ما بعد موقعة بدر ، حتى نزلت آية « وَأُولُوا الْأَرْحَامِ

بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ » ، فقصر التوارث على صلة القربى والدم فقط ، لأن المقصود من المؤاخاة ، كان هو ذهاب وحشة الغربة ، وضيق مفارقة الأهل والعشيرة ، وشدّ أزر بعضهم بعضاً ، فلما قوى الإسلام ، واجتمع الشمل ، وذهبت الوحشة ، بطل التوارث ، ورجع كل إنسان إلى ذوى رحمه[1].

٨٧ **الهدف الأسمى للمؤاخاة**

نعم انتهى التوارث بين المتآخين بزوال أسبابه ، ولكن لم ينته الهدف الأسمى منه ، وهو شعور كلا الأخوين بلحمة الكرامة والعزة ، فما كان عاراً لهذا يكون عاراً لذاك ، وما ينقص كرامة ذلك ، يحطّ من كرامة الآخر ، وما يتعصب له هؤلاء ، يجب أن يتعصب له أولئك ؛ وهناك أيضاً مؤاخاة أقوى ؛ هى مؤاخاة العقيدة ، والفكرة والرأى ؛ مؤاخاة فى الوسيلة والغاية ؛ مؤاخاة فى الجهاد ، وفى النضال ، مؤاخاة فى الإسلام ، وفى الدين ؛ وفى تحقيق المثل العليا ؛ ولذلك آخى النبى عليه السلام ، بين جعفر بن أبى طالب ، المهاجر حينئذ إلى الحبشة ؛ وبين معاذ بن جبل الخزرجى المقيم بالمدينة ؛ فلو كان المقصود هو المؤاخاة المادية ؛ ما كان معنى لهذا الإخاء[2].

ولهذا نجد ذلك الإخاء يمزج المهاجرين بالأنصار ؛ ويقضى على الأسباب المتقدمة التى من أجلها شُرّع الإخاء فى الإسلام ؛ ويقضى كذلك على أسباب التنافس والخصومات ، والحزازات القديمة الموجودة بين الأوس والخزرج أنفسهم ! إذ قضى على قرابة الدم تماماً ؛ وهى الأسس الوحيدة للعصبية ؛ وأحلّ محله قرابة الدين ؛ ولحمة الإيمان ، وصلة العقيدة .

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٢ والسمهودى ص ١٩٣ وص ١٩١ .
(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٠٤ .

https://archive.org/details/@user082170

٨٨ **البارزون من المتآخين**

فنجد محمداً يؤاخى بين جميع المهاجرين وبين الأنصار ، وكانوا حوالى التسعين مهاجراً ، فيجعل أبا بكر ، أخاً لخارجة بن زهير الخزرجى ، وعبد الرحمن بن عوف ، أخاً لسعد بن الربيع الخزرجى ، وعمر بن الخطاب ، أخاً لعتبان بن مالك الخزرجى ، وأبا عبيدة ، أخاً لسعد بن معاذ الأوسى ، والزبير بن العوام ، أخاً لسلام بن سلامة الأشهلى الأوسى ، وعثمان بن عفان ، أخاً لأوس بن ثابت الخزرجى ، وطلحة بن عبيد الله ، أخاً لكعب ابن مالك السلمى الخزرجى ، وسعد بن زيد ، أخاً لأبىّ بن كعب النجارى الخزرجى ، وأبا ذر الغفارى ، أخاً للمنذر بن عمرو الخزرجى ، وبلالا أخاً لأسيد بن حضير الأوسى ، وجعفر بن أبى طالب المهاجر بالحبشة ، أخاً لمعاذ ابن جبل السلمى الخزرجى ، ومصعب بن عمير ، أخاً لخالد بن زيد النجارى الخزرجى[1] .

٨٩ **هل أدت هذه المؤاخاة رسالتها ؟**

وقد أثمرت هذه المؤاخاة ثمرتها ، فنجد المهاجرين يأتون محمداً ويقولون له :

يا رسول الله ! ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم ؛ أحسن مواساة فى قليل ، ولا أحسن بذلا فى كثير ، كفونا المئونة ، وأشركونا فى المهنة — الخدمة — حتى لقد خشينا ، أن يذهبوا بالأجر كله ، فاستدرك النبى قائلا : إلا ما أثنيتم عليهم ، ودعوتم لهم[2] .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٠٤ ، الفتح الإسلامى ص ١٨ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٠ .

(٢) أى أنكم بهذا الثناء والدعاء ، حصل منكم لهم نوع من المكافأة ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢١ .



https://archive.org/details/@user082170

٩٠ **كيف قضى محمد على ميزة قرابة للمهاجرين ؟**

أما أن قريشاً لها شرف القرابة من محمد ، فهى وارثة دينه ، وخليفته فى رياسته وزعامته ، فهذا ما قد عمل الدين الحنيف على إزالته واقتلاعه ، لا من نفوس الأنصار فحسب ، ولـكن من نفوس الناس جميعاً ، فقد وضع الأسس المتينة ، والقواعد التى لا تتزعزع ، فقال :

١ — فى قرآنه : « وأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ »(١) وَشَاوِرْهُم فِي الأَمْرِ(٢) وَ إِذَا كَانُوا مَعَه عَلَى أَمْرٍ جَامعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوه »(٣) .

٢ — وفى حديث محمد : لا فَضْلَ لِعَرَبى عَلَى عَجمىٍّ إلاَّ بالتَّقْوَى .

وقوله عن نفسه لأصحابه : لا تَطْرُونى كما أَطْرَتِ النَّصَارَى ابنَ مَرْيَمْ ، إنمـا أَنَا عَبْدُ الله ، فَقُولُوا : عَبْد الله وَرَسُوله .

وقوله عندما خرج على جماعة من أصحابه ، متوكئا على عصاه فقاموا له : لا تَقُومُوا كما تَقُومُ الأَعَاجِمُ يُعَظِّمُ بَعْضُهمْ بعضاً .

٣ — وكذلك أعماله بينهم : فـكان يعود المرضى فى أقصى المدينة ، ويقبل عذر المعتذر ، ولا يجلس إليه أحد حين صلاته إلا خففها ، وقضى له حاجته ، ثم يعود إلى الصلاة ، وكان لا يدخر شيئاً لغـده ، ولا لأقربائه ، حتى أنه قد قُبض ودرعه مرهونة عند يهودى فى قوت عياله .

وكان جمّ التواضع ، حتى أنه خَـدَمَ وفد النجاشى عند ما قدم المدينة ، فقال له أصحابه : نـكفيك نحن يا رسول الله ، قال : إنهم كانوا لأصحابنا مُكـرِمين ، وإنى أحب أن أكافئهم .

---

(١) سورة الشورى . (٢) سورة آل عمران .
(٣) سورة النور .

https://archive.org/details/@user082170

هذا فضلا عن أن الأنصار يرون كل حين وآن ، والنبي بين ظهرانيهم : أن التفاضل عنده إنما يكون بالعمل الصالح ، والفعال الطيبة ، وأنهم كانوا يجزون بما يعملون ، وأن : مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا .

### ٩١ كيف أسس المساواة بين المهاجرين والأنصار ؟

أما أن الأنصار سيكونون وقود هذه الحركة الإسلامية ، والدعوة المحمدية ، وسيكون لآل محمد عزها ، وفخرها وخيرها ، فهذا ما لا يرونه الآن ، وفى حياة محمد ، وفى معاملة محمد ، لأنه يعاملهم هم والمهاجرين على قدم المساواة .

نعم . . . إن هذا المعنى قد ظهر فيما بعد ، وحين موت النبي مباشرة ، وحين رشح الأنصار سعد بن عبادة للخلافة ، ورشح المهاجرون أبا بكر ، ولكنه قد اتخذ وجهة أخرى ، هى غير التعصب لآل محمد بلا شك .

وإذا كانت صلة القربى من النبي قد ظهر أثرها بعد خلافة عثمان ، وفى الخلاف بين العلويين وبين الأمويين ، فإن ذلك لم يكن موجها ضد الأنصار ، ولو أنهم انحازوا إلى العلويين ، كما سنتكلم عنه فيما بعد .

### ٩٢ الرسول يميز المهاجرين ، وبعض المسلمين بميزات مادية تألفا لقلوبهم

وإذا كان الرسول قد ميز المهاجرين ، وبعض المسلمين الجدد ، بميزات مادية ، فعنده حيثياتها ، ولدى محمد أسبابها ، كتعويض لهم عما فقدوه ، أو إغراء لإخوانهم من مشركى قريش ، أو تأليف لقلوبهم ، وتودد إليهم بعد إسلامهم ، فنجد النبي عند ما يستولى على أموال بنى النضير ، يقول للأنصار :

إن إخوانكم من المهاجرين ، ليس لهم أموال ، فإن شئتم قسمت هذه

https://archive.org/details/@user082170

بينهم وبينكم جميعاً ، وإن شئتم أمسكتم أموالكم ، فَقَسَّمْت هذه فيهم ، فيقولون :

بل اقسم هذه فيهم ، واقسم لهم من أموالنا ما شئت أيضاً .

وهنا نزل فيهم قوله تعالى : وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَة .

وكذلك نجد النبي بعد غزوة هوازن ، وفى موقعة حنين ، التى كان للأنصار فيها فضل أى فضل ، يفرق الغنائم على العرب جميعاً ، مهاجرين وغيرهم ، ولا يعطى الأنصار شيئاً مّا ، مع كثرة الغنائم ، فقد كانت حوالى اثنين وعشرين ألفاً من الإبل ، وأربعين ألفاً من الشاه ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة ، وكان عدد الأسرى سبعة آلاف .

نعم ... فرق النبي عليه السلام هذه الغنائم العريضة الطويلة ، على جميع الناس إلا الأنصار ، وأجزل العطاء لجميع العرب ، حتى هؤلاء الذين كانوا أشد عداوةً له ، فأبو سفيان يأخذ مائة بعير ، وابنه معاوية كذلك ، وغيرهم وغيرهم ... ولكنه لم يعط الأنْصار شيئاً !!

**ألا ترضون أن ترجعوا برسول الله الى رحالكم أيها الأنصار ؟؟** ٩٣

وهنا تحدّث ضعفاء الأنصار ، وتهامسوا فيما بينهم ، لدرجة أن بعضهم قال :

« لقد لقى رسول الله قومه !! » وعلم النبي بذلك ، فسأل سعد بن عبادة الخزرجى زعيمهم عن سبب تهامسهم ، فأصدقه الخبر ، فقال له : اجمع لى قومك :

محمــد : يا معشر الأنصار !! ما قالة بلغتنى عنكم ؟ وجِدَة وجدتموها فى أنفسكم ؟! ألم آتكم ضُلّالاً فهداكم الله ! وعالةً فأغناكم الله ! وأعداءً فألف بين قلوبكم الله ! ألا تجيبونى يا معشر الأنصار ؟

الأنصار : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ والله ورسوله أمنّ وأفضل !

محمـــد : أما لو شئتم لقلتم ، فصدَقتم وصُدِّقتم : جئتنا طريداً فآويناك ، وعائلا فآسيناك ، ومخذولا فنصرناك ، ومكذَّبا فصدقناك ، أوجدتم (١) يا معشر الأنصار فى لُعَاعةٍ (٢) من الدنيا ؟ تألفت بها قوماً ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ! ألا ترضون يا معشر الأنصار ؟ أن يذهب النـاس بالشاه والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ! فوالذى نفس محمد بيده ! لولا الهجرة لكنت أمرءاً من الأنصار ، ولو سَلَكَ الناس شِعباً ، وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار ....

هنا ... وأمام هذه العاطفة النبوية ، التى تفيض حبًّا وولاءاً لهؤلاء الذين آووه ونصروه ، بكى الأنصار حتى أخْضَلوا لحاهم (٣) قائلين من أعماق قلوبهم : رضينا برسول الله قسماً وحظاً .

## ء — الأنصار واليهود

٩٤ **مكانة اليهود**

أما اليهود وهم موجودون داخل المدينة وخارجها ، وهم أهل دين سماوىّ ، فحقاً لهم خطرهم وأثرهم ، فهم قوة وأية قوة : قوة فى المال ، قوة فى التجارة ، قوة فى التخريب والتحزيب خارج المدينة ، وبذر بذور الشقاق ، وغرس

---

(١) غضبتم .

(٢) الكلأ الخفيف وهو كناية عن الشىء اليسير .

(٣) خضل الشىء خضلا : ابتل .

https://archive.org/details/@user082170

أصول النفاق داخل مدينــة الرسول . إذ لهم حِيَـلهم فى التفرقة وهى لا تضارع ، وأسلوبهم فى ذلك وحيد فريد ، وهم أيضاً عَـدَدٌ لا يستهان به ؛ وموقعهم الجغرافى ، موقع خطر على المسلمين ، فبنو فينقاع داخل المدينة ، وبنو قريظة ، وبنو النضير ، ويهود خيبر ، وفدك ، حولها وبظاهرها .

٩٥ **لماذا سالم اليهود محمداً ؟**

ولـكن اليهود يسالمون محمداً ، ويمدون إليه يد الصفاء والأمان ، فلماذا ؟

نعم ... إن أسباب ذلك مزيج مما يأتى :

١ — إن اشتراكهم فى حرب بُعاث مع الأوس والخزرج ، قد أضعف شوكتهم نوعاً ، وقد حدَّ من قوتهم شيئاً مَّـا ، فهم الآن فى سكرة وغفوة ، وفى شبه غفلة وانـحلال .

٢ — إن اليهود كانوا يعللون أنفسهم ، بأن محمداً قد يوحّـد العرب ، ويجعل منهم قوة قد تقضى على المسيحية الرومانية ، التى شتتت شملهم ، ومزقتهم شر ممزّق .

٣ — ولأن اليهود أرادوا مهادنة محمد ، حتى يروا ماذا يفعل المسلمون ؟ فقد يكون الأمر بعد ذلك لصالحهم ، وعلى كل حال : فزمام الأمر لا يزال فى يدهم ، فهم أصحاب الأموال والصناعات والتجارات و ... وحيلهم فى التفرقة لا زالت وفيرة ، وتجاربهم فى بذر بذور الشقاق أنـضج ما يكون ! !

لـكل هذه الأسباب ، سالم اليهود محمداً أول الأمر ، واشتركوا فى الترحيب به ، فهادنهم محمد كذلك ، وبادلهم هذه التحيَّـة بأحْسَـنَ منها .

٩٦ **محالفة سياسية بين اليهود والمسلمين**

فانتهز محمد والأنصار هذه الفرصة ، وعقدوا بينهم وبين اليهود حلفاً به يعزّ الإسلام ، وعلى أسسه تنهض دعوة محمد ، إذ يتاح لها فرصة من الزمن ،

https://archive.org/details/@user082170

فيها توطد أركان الدعوة ، وفى أثنائها يؤسس المجتمع الصالح ، فى جو من الصفاء والطمأنينة والسلام ، وهو أشد ما يكون لزوماً لدعوة جديدة ، وعقيدة بادئة ، حتى إذا ما قلبت اليهود بعد ذلك للمسلمين ظهر المِجَنّ ، وجدوهم أقوى نفراً ، وأشد قبيلا .

٩٧

**أول وثيقة سياسية فى الاسلام**

لهذا نرى محمداً يعاهدهم بوثيقة على الحرية الدينية ، مع الاحترام لهـا ، وعلى التعاون على الخير ، ومنع الظلم والعدوان ، وعلى التساند ضد المغير على المدينة ، أيا كان نوعه ، وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد النبى ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم : أنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رِبعتهم [١] يتعاقلون بينهم ، وهم يَفـدُون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنوعوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . . . — ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار ، وأهل كل دار مثل : بنى الحارث ، وبنى ساعدة ، وبنى جُشم ، وبنى النجّـار ، وبنى عمرو ابن عوف ، وبنى النبيت ، وبنى الأوس بن هشام ، — إلى أن قال : وإن المؤمنين لا يتركون مُفْـرَحاً [٢] بينهم حتى يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل ، ولا يحالف مؤمن مولى مؤمنٍ دونه . وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى ، دَسِـيعة [٣] ظلم أو إثم ، أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليه جميعاً ، ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمناً فى

---

(١) ربعتهم أى على استقامتهم ، يريد على أمرهم الذى كانوا عليه .
(٢) المثقّـل بالدين والعيال . (٣) طبيعته .

https://archive.org/details/@user082170

كافر ، ولا يُنْصر كافرٌ على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ، وإن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة[١] ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ، وإن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله ، إلا على سواء وعدل بينهم ، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً ، وإن المؤمنين يَبيء[٢] بعضهم عن بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله . وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وإنه من اعتبط[٣] مؤمناً قتلا عن بينة ، فإنه قوَد به ، إلا أن يرضى وليّ المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه ، وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة ، وأمن بالله واليوم الآخر ، أن ينصر محدثاً[٤] ولا يؤويه ، وأنه من نصره أو أواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ؛ إنكم مهما اختلفتم فيه من شىء فإن مرده إلى الله ، وإلى محمد عليه الصلاة والسلام ، إن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم إلا مَنْ ظلم أو أثم فإنه لا يُوتغ[٥] إلا نفسه وأهل بيته ، وإن اليهود وبنى النجار ، ويهود بنى الحارث ، ويهود بنى ساعدة ، ويهود بنى جشم ، ويهود بنى الأوس ، ويهود بنى ثعلبة ، ولجفنة ، ولبنى الشُّطَيْبَة[٦]

---

(١) أى المساواة فى المعاملة .

(٢) يقال أبأت فلاناً بفلان إذا قتلته به ، يريد أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض فيما ينال دماءهم .

(٣) اعتبطه أى قتله بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله .

(٤) جانيا . (٥) يهلك ويفسد .

(٦) فى البداية والنهاية لابن كثير . . . « ولبنى الشطنة » .

https://archive.org/details/@user082170

مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن موالى ثعلبة كأنفسهم ، وإن بطانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا باذن محمد عليه الصلاة والسلام ، وإنه لا يتحجر على ثأر[1] جرح ، وإنه من فتك بنفسه وأهل بيته إلا من ظلم ، وإن على اليهود نفقتهم ، وإن على المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على مَن حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مضارٌ ولا آثم ، وأنه لا تجارَ حرمة إلا باذن أهلها . وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو شجار يُخاف فساده فإن مرده إلى الله ، وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الله على من اتقى ما فى هذه الصحيفة . وإنه لا تجارُ قريش ولا من نصرها وإن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه ، فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين ، إلا من حارب فى الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم ، وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض ، من أهل الصحيفة ، وإن البر دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبرها ، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وإنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم وأثم ، وإن الله جار لمن بر واتقى .

---

(١) يريد : لا يلتئم جرح على ثأر .

٩٨ **مدى احترام اليهود لهذه الوثيقة ؟**

ولكن هل كان اليهود حقاً مخلصين لهذه الوثيقة إخلاصاً أكيداً ؟ وهل كانوا عازمين حقاً على تنفيذ بنودها ؟ أم هم للأسباب المتقدمة قد حُملوا على توقيعها ، والموافقة على ما جاء فيها ؟ سيما أنهم يعرفون أنه متى كانت المعاهدات خالدة ؟ كما يعرفون أنهم فى أية لحظة يمكنهم خلق الأسباب لخرقها ؛ وافتراء الدلائل لعدم التمسك بها ، بل يعلمون أن المحالفات ستار قوى يمكنهم وراءه أن يعملوا مايريدون ، مبعدين عنهم كل شبهة أو ريب .

ذلك فعلا ما دل عليه تاريخهم مع الأنصار قبل ذلك ، وها هى ذى الأدلة يقدمونها الآن مع محمد ، قائد الأنصار ، وزعيم المسلمين ، ونبى الله .

٩٩ **اليهود يفرقون بين الأوس والخزرج**

فاليهود تعمل جهدها ، لناقضة حلفها ، فتثير الحفائظ القديمة بين الأوس والخزرج ، علها تعيد الحرب جذعة بينهم ، ولذا نرى « شاس بن قيس اليهودى » يغيظه التئام الخزرج والأوس فى مجلس واحد ، متصافين متآخين ، فيرسل لهم شابا يهودياً يذكرهم بيوم بعاث ، وينشدهم بعض الشعر ، الذى قاله شعراؤهم فيه يوم كانوا يتفاخرون ، وبأراجيزه التى بها كانوايترنمون ، مما جعل شباب الحيين يسيرون وراءه فى الإنشاد ويلفون لفه فى التفاخر ، فيهيج الحيان ، ويتواعدان مكانا بظاهر المدينة ، ليعيدوها جذعة ، كما أراد شاس حقاً ! ! وفعلا يستعد شباب الحيين ، وهناك . . . وفى الموعد المضروب ، وفى المكان المحتوم يجتمعون !!

ولكن رسول الله يأخذ علما بما تم ، فيذهب إليهم ومعه جماعة من المهاجرين ، وكبار الأنصار ، فيقول لهم :

يا معشر المسلمين !! الله ، الله !! أبدعوة الجاهلية ؟ وأنا بين أظهركم ،

https://archive.org/details/@user082170

بعد أن هداكم الله للاسلام ، وأكرمكم به ، وقطع عنكم أمر الجاهلية بسببه ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف بين قلوبكم .

هنا . . عرف القوم أنها نزعة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الأوس الخزرج ، ثم انصرفوا مع الرسول سامعين مطيعين[1] .

١٠ بنو قينقاع تُطرد من المدينة

وهذا دليل ثان على أن المحالفة كانت من جانب اليهود غير صادقة كذلك ، فقد لقى اليهود المسلمين حين رجوعهم من غزوة بدر وهم منتصرون ، لقاء الحاسد الضاغن ، ولم يشاركوا سكان المدينة جميعاً فرحهم وجذلهم ، مع أن بنى قنيقاع كانت تسكن داخلها .

بل إن بعض اليهود منهم ، أهان بعض نساء المسلمين اللائى جلسن إليهم بسوقهم ، لشراء بعض حاجاتهن ، إذ تسبب فى الكشف عن موطن العفة منها ، لذلك جمعهم النبى بسوق المدينة ، وهو سوقهم ، وقال لهم يحذرهم :

احذروا ما نزل بقريش ، واسلموا فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل !!

فقالوا : يا محمد !! لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة .

فكان ذلك دليلا واضحاً على استعدادهم لنقضهم الحلف ، بل بدأوا يجاهرون بذلك علناً ، فأعلنهم النبى بالحرب ، وحاصرهم فى دورهم خمس عشرة ليلة ، إذ تحصنوا منه فى آطامهم وحصونهم ، ولكنهم أخيراً نزلوا على حكمه ، ولما أراد محمد تنفيذ الحكم ، تشبث بهم عبد الله بن أبىّ بن سلول الخزرجى ، إذ كانوا حلفاء الخزرج ، خلافا لعبادة بن الصامت

---

(١) السمهودى ص ١٩١

الخزرجى[1] الذى مشى إلى رسول الله ، وله عليهم مثل مالا بن سلول ، وتبرأ لله ولرسوله من حلفهم[2] .

ولذا أخذ أموالهم ، وعفا عن قتلهم ، وأرسل عبادة بن الصامت الخزرجى معهم ، ليخرجهم من المدينة ، وهناك ... وبأذرعات بالشام تركهم[3] .

١٠١ **من لى من ابن الأشرف ؟ — قتل الأوس ابن الأشرف اليهودى —**

ثم ها نحن أولاء نرى شيئاً آخر ، نرى أن كعب بن الأشرف اليهودى يبكى أصحاب بدر ، ويحمس قريشاً على الأخذ بثأر قتلاها ، وينشد الأشعار ينال بهـا من المسلمين ومن نسائهم ، ويرسل ذلك بين أفواه رواة العرب ، وما أكثر رواتهم !! ممـا يضطر معه محمد ، أن يعلن بين شباب الأنصـار ، الذين عاهدوه على السـمع والطاعة ، فى العسر وفى اليسر ، ويقول :

محمـــد : من لى من ابن الأشرف ؟

محمد بن مسلمة الأوسى } أنا لك به ، أنا أقتله .

محمـــد : فافعلْ إن قدرت على ذلك .

---

(١) وقد قابله ابن سلول وكان رأس المنافقين بالمدينة فقال له : كيف تبرأت يا عبادة من حلف مواليك ؟ فقال عبادة قولته الخالدة : يا أبا الحباب !! تغيرت القلوب ، ومحا الإسلام العهود !!

(٢) وهنا نزل قوله تعالى :

يٰأيُّها الَّذينَ آمَنوا ؛ لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصارَى أَوْلِيَاءَ ، بَعْضُهمْ أولياء بَعْضٍ ، ومَنْ يَتولَّهُمْ مِنْـكُمْ فإنَّه مِنْهُمْ — إنما وَلِيُّـكُم اللهُ وَرَسُولُه .

(٣) ابن عساكر ج ٧ ص ٣٠٩

https://archive.org/details/@user082170

ابن مسلمة : يا رسول الله لا بد لنا أن نقول !

محمـــد : قولوا ما بدالكم ، فأنتم فى حلّ من ذلك .

ابن مسلمة : يعمل على اختيار أعوانه ، فيجتمع إليه : أبو نائلة ، والحارث ، وعباد ، وأبو عبس ، وكلهم من الأوس ، لتدبير خطتهم ، وبعد الاتفاق عليها ، أرسلوا أبا نائلة إلى ابن الأشرف فى منزله .

أبو نائلة : يا ابن الأشرف !! إنى قد جئتك لحاجة فاكتمها علىّ .

ابن الأشرف : لك ذلك .

أبو نائلة : كان قدوم ذلك الرجل — محمداً — شؤماً علينا ، وعلى العرب فقد قطعت علينا السبل ، حتى ضاعت العيال ، وجهدت البهائم !!

ابن الأشرف : كثيراً ما قلت لكم ولك هذا ! !

أبو نائـــلة : ونريد الآن أن تبيعنا طعاماً ، ونرهنك ونوثق لك .

ابن الأشرف : على أن ترهنونى أبناءكم .

أبو نائـــلة : ماذا ؟ ! هل تريد أن تفضحنا ؟ ! إن معى أصحابى على مثل رأيى ، فتبيعهم ، ونجعل عندك رهائن من دروعنا وأسلحتنا ما فيه وفاء .

ابن الأشرف : هاتوا أسلحتكم[1] ؟ .

أبو نائـــلة : يذهب لنداء أصحابه إلى المدينة ، ويخبرهم بذلك ، ويخبر النبى ، فيشيعهم حتى ظاهرها ، ويدعو لهم بالتوفيق .

---

(١) وقد كان يعمل لتمويل قريش وأحزابها بالسلاح فيما بعد لمحاربة المسلمين .

https://archive.org/details/@user082170

الأوسـيون : يصلون إلى حصن[1] ابن الأشرف ليلا ، ثم يهتف به أبو نائلة

أبو نائـلة : يتحدث إليه مقدّماً له أصحابه ، ويطلب منه التمشى معهم إلى شعب العجوز[2] ، ثم يشم رأسه لامساً إياها بيـده ، قائلا : ما رأيت كالليلة طيباً[3] أعرَف من هذا ! ويكرر ذلك بين آن وآخر ، ثم يأخذ بفَـوْدَىْ[4] ابن الأشرف ، قائلا : اضربوا عدو الله .

الأوسـيون : يتكاثرون عليه بسيوفهم ، ويجهز عليـه محمد بن مسلمة الأنصارى ، ثم يفرون ، وهناك . . . وبالمدينة ، يجدون محمداً فى انتظارهم فيخبرونه الخبر .

محمـــد : يدعو لهم الله ، ويثنى عليهم .

### ١٠٢ . والله لن يذهبوا بها علينا ! هكذا قال شباب الخزرج «قتل أبى الحقيق اليهودى»

نعم هكذا قال شبابِ الخزرج ، عند ما نفذت الأوس حكم رسول الله فى كعب بن الأشرف ، فأتى إلى رسول الله جماعة منهم :

عبدالله بن عتيك الخزرجى : ألا تأذن لى يا رسول الله أن أكفيك شر أبى رافع سلام ابن أبى الحقيق اليهودى ؟ كما كفاك الأوس شر ابن الأشرف ، وهو لا يقل عنه عداوة للإسلام ، وكيداً المسلمين .

محمد رسـول الله : يوافق ويدعو له ولأصحابه بالتوفيق .

عبدالله بن عتيك : يختار مسعود ، وعبـد الله ، وأبا قتادة ، وخزاعى

---

(١) وكان خارج المدينة وقريباً منها . (٢) مكان خارج المدينة .

(٣) وكان ابن الأشرف قريب عرس . (٤) الفودين الجانبين .

الخزرجيين ، فيجتمعون ويدبرون خطتهم ، ثم يذهبون ليلا إلى خيبر ، بعد إخبار محمد بذلك .

الجميع : يدخلون دار أبى رافع ، ولا يدعون باباً فى الدار إلا أغلقوه على أهله ، وكان هو بأعلاها .

أحدهم : يهتف بأبى رافع ؟

زوجة أبى رافع : من ينادى أبا رافع ؟

أحدهم : نفر من العرب تلتمس الميرة .

زوجة أبى رافع : هذا صاحبكم ، فادخلوا عليه .

الجميع : يدخلون ويغلقون باب الحجرة عليهم ، ثم يبتدرونه بالسيف ويتحامل عليه عبد الله بسيفه ، حتى ينفذ من بطنه .

زوجة أبى رافع : تصيح !!

أحدهم : يهم بقتلها ، ولكنه يمتنع عند ما يتذكر نهى النبى عن قتل النساء .

الجميع : يخرجون مسرعين نحو المدينة ، ويجتمعون بالنبى ويخبرونه .

محمد عليه السلام : يدعو لهم ، ويثنى عليهم .

### ١٠٣ اجلاء يهود بنى النضير

رأى بنو النضير ما حصل لإخوانهم بنى قينقاع فتنمَّروا للمسلمين ، وأخذوا يفتحون بيوتهم لأعداء محمد ، ويقولون ما يقولون ! ! بل عملوا على اغتيال محمد نفسه ، بإلقاء صخرة كبيرة عليه ، لولا أن الله ألهمه ذلك ، ولهذا أعلنهم محمد بالحرب ، وفعلا حاصرهم ، وأخيراً ... نزلوا على حكمه : لهم ما حملت الإبل من الأموال إلا السلاح ، وعليهم الخروج من بلادهم ،

https://archive.org/details/@user082170

فذهب بعضهم إلى خيبر ، وبعضهم إلى الشام ، أما أموالهم فهى للمهاجرين خاصة دون الأنصار[1] .

١٠٤ **مصالحة يهود خيبر ومزارعتهم**

أما يهود خيبر : فقد حمَوا يهود بنى النضير ، ولم ينسوا أبا رافع والأخذ بثأره ، فخرج إليهم محمد والأنصار والمهاجرون ، فحاصروهم فى آطامهم وحصونهم ، وأخيراً سألوا محمداً : أن يخلى سبيلهم ، وله الأموال كلها ، فقبل النبى ذلك . ولـكنهم سألوه : أن يتركهم لزراعة الأرض ، وهم بفلحها خبراء ، على أن لهم نصف غلتها ، وله الحق فى إخراجهم أى وقت شـاء ، فقبل النبى ذلك أيضا .

١٠٥ **يهود بنى قريظة ، ويهود فدك**

أما يهود بنى قريظة : فقد حكم عليهم سعد بن معاذ بالإفناء ، وهو حكم الله ، وسيأتى ذكر ذلك عند التحدث عن موقعة الأحزاب ، ودورهم المخزى فيها .

أما يهود فَدَك : فقد كانوا مسالمين ، ومحافظين تماماً على ما عاهدوا عليه الرسول ، وأخيراً صالحوه على أن يكون له نصف أرضهم خالصا .

١٠٦ **الآن انتهينا من يهود بلاد العرب الى الأبد !!**

الآن ، والآن فقط ، قد فرغ الأنصار بزعامة نبيهم محمد ، وبزمالة إخوانهم المهاجرين ، من القضاء على العنصر الخطر ، الذى كان من فوقهم ، ومن تحت أرجلهم وبداخل مدينتهم ، سواء كانوا زراعاً أو صناعاً ، أو تجاراً ، أو علماء كتاب .

نعم الآن فقط ، يحق للمدينة أن تتنفس الصعداء ، وقد كان اليهود على

---

(١) بعد أن استأذن النبي الأنصار فى ذلك .

https://archive.org/details/@user082170

صدرها كـكابوس مخيف ، مرهق للأعصاب ، وللأنفس ، وللأموال ، وللوحدة بين الأخ وأخيه ، وبين العم وابن عمه ،

نعم . . . الآن فقط ، يحق للمسلمين ، وقد حرروا مدينتهم ، أن يشعروا بحريتهم تامة ، وباستقلالهم كاملا ، وبأن المدينة يمكن بعد إبادة هؤلاء أن تسمى بحق : مدينة الرسول ومكان الله المختار .

## هـ — الأنصار وقريش

ها هم أولاء الأنصار ، بقيادة محمد ، وبزمالة المهاجرين ، قد انتهوا من أخطر خطر محيط بهم ، وهو اليهود ، والآن . . . نريد أن نعرف كيف تخلصوا من قريش ؟ وكيف دحروها ماديًا ، وحربيًا ؟ وكيف دخلوا بيت الله ، وفتحوا مكة ، وجلجل مؤذنهم فوق الكعبة ، وفى جنبات البيت المقدس ، لدى العرب عامة ، والمسلمين خاصة ؟

ها هم أولاء الأنصار ، يسلمون قيادهم ، وهو سلس ذلول ، إلى من اختاروه رئيسًا عليهم ، وقائدًا لهم ، بل إلى نبيهم محمد ، ورسولهم ابن عبد الله ، فقد بايعوه ، على الجهاد فى سبيل الله ، وعلى الطاعة لكلمة الله ، وهو الصادق دائمًا ، الأمين دائمًا ، لا يقول إلا عن وَحْى ، ولا يأمر إلا بأمر الله .

نعم . . . بايعه الأنصار على الجهاد فى سبيل الله ، فهو فرض عينىّ وشخصىّ على كل فرد منهم ، بخلاف المسلمين الآخرين ، وبخلاف الأعراب الذين دخلوا فى الإسلام بعد ذلك[1] ، لذا تراهم لا يتخلفون عن غزوة مّا ، سيما عند ما يرون أنها ضرورية لحماية الإسلام ، وأنها حتمية للدفاع عن الدين .

وإذا ما تخلف أحد منهم فلا بد من أن يُعذّر نفسه إلى قائده محمد أولا ،

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١١٨ .



https://archive.org/details/@user082170

فإن أجاز له التخلف تخلف ، وإلا فعليه السمع لقائده ، والطاعة لنبيه .

## ١ — الأنصار وقريش فى بدر [١]

ولهذا نرى الأنصار تبدأ جهادها مع قريش ، فتقدم مالها ، وأولادها ، وأرواحها عند ما يأمرهم نبيهم محمد ، وقائدهم الجديد ابن عبد الله بالاستعداد لقتال قريش ، التى آذته وأخرجته ، أو بعبارة أدق لقتال قريش التى حاربت الإسلام ، وطاردت المسلمين فى كل مكان .

١٠٧ **استعداد قريش**

فقد علم النبى أن عيراً لقريش ، وفيها تجارتها ، وهى عصب حياتها ، سترجع من الشام محملة بالغالى من كل صنف ، وبالثمين من كل نوع ، فأعلن الأنصار والمهاجرين بالاستعداد ، وعلم فى الوقت نفسه ، أبوسفيان بن حرب ابن أمية قائد القافلة ، وكبير الرَّحْل ، بأن محمداً سيلقاهم ، فأرسل من يستنفر رجالات قريش بمكة ، فنفرت إليه صناديدها ، ولم يتخلف من بينها أحد إلا أبالهب ، فساروا فى ركب عدد رجاله ٩٥٠ رجلا ومعهم ٧٠٠ بعير و ٣٠ فارساً [٢] .

١٠٨ **أشيروا على أيها الناس**

وقَبْل اعلان الأنصار والمهاجرين بالحرب ، جمع النبى رجالات المدينة ، وأخذ يشاورهم ثم قال : أشيروا علىّ أيها الناس [٣] . موجها الكلام إلى سعد بن معاذ الأوسى ، وسعد بن عبادة الخزرجى . إذ كانا زعيمين للأنصار

---

(١) وذلك فى ١٧ رمضان من السنة الثانية الهجرية .
(٢) ابن الأثير ج ٢ ص ٦٢ ، وسيرةابن هشام ج ٢ ص ٦١ .
(٣) يريد الأنصار .

https://archive.org/details/@user082170

الذين هم جماع العدَد والعدة ، وقدخاف ألا ترى الأنصارعليها نصرته خارجياً ، إذ أن البيعة كانت على الحماية ، ممـا يحمون منه نساءهم وأبناءهم ، وذلك لا يكون إلا بأن يدفعوا العدو الخارجى الذى يغير عليهم .

سعدبن معاذ : كأنك تريدنا يا رسولْ !

محمد : نعم

سعدبن معاذ : قد آمنا بك فصدقناك ، وأعطيناك عهودنا ، فامض يارسول الله لما أمرت ، فوالذى بعثك بالحق ، ان استعرضت بنا هذا البحر فخضته ، لنخوضنه معك ، وما نكره أن تلقى العدوّ بنا غداً ، إنا لصبر فى الحرب ، صِدق عند اللقاء ، فسر بنا على بركة الله .

محمد : أبشروا أيها الناس ، فان الله وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لـكأنى أنظر إلى مصارع القوم .

١٠٩ **عُدة المسلمين :**

تجهز المسلمون وتجمعوا ، فـكان عددهم ١٧٠ خزرجياً ، و ٧١ أوسياً و٨٣ مهاجراً فأضحى مجموعهم ٣٢٤ رجلا ، وكان العـَدَدُ ضئيلا حقاً ، لأن النبى ما كان يعلم أن قريشاً استنفرت رجالاتها لحماية عيرها ، ولذلك لم يخرج مع النبىّ جميع الأنصار ، لاعتقادهم أنه لن يلق حربا ، فـكان فيهم فارس واحد ، ومجموع أبلهم سبعين ، دفع منها سعد بن عبادة الخزرجى وحده ، عشرين جملا[1] .

١١٠ **أدب المشورة بين الأنصار وبين القائد**

سار المسلمون ، فخط النبى رحاله قريباً من ماء بدر ، ولما أتت قريش نزلت بأعلى الوادى ، فبادر محمد ونزل بأقرب مكان إلى الماء حيث يتجمع

---

(١) الاستبصار فى أنساب الأنصار — خطى بدار الـكتب رقم ٣٤٩ تاريخ ه

فأتى إليه الحُباب بن المنذر بن الجموح الخزرجى قائلا :

أهذا منزل أنزلكه الله ؟ ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخره ، أم هو الحرب ، والرأى ، والمكيدة ؟

محمد : بل هو الرأى ، والحرب ، والمكيدة .

الحباب : يارسول الله ، إن هذا ليس لك بمنزل ، فانهض بالناس ، حتى تأتى أدنى ماء من القوم ، فتنزله ، ثم نغوِّر القُلُب[١] ثم نبنى عليها حوضاً فنملؤه ماءاً ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون .

محمد : نعم نعم ، .

وفعلا أمر بتنفيذ ما أشار به الحباب الخزرجى الأنصارى وبنوا الحوض

١١١ الأنصار يبنون العريش لرسول الله

وهذا أنصارى أوسىّ آخر ، وهو سعد بن معاذ يقول للنبى :

يا رسول الله ! نبنى لك عريشاً من جريد ، فتكون فيه ، وتنزل عندك ركائبنا ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزّنا وأظهرنا الله عليهم ، كان ذلك ما أحببناه ، وإن كانت الأخرى ، جلست على ركائبك ، فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حبًّا لك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ماتخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، ويناصحونك ويحاربون معك .

١١٢ الأنصار يحملون الموت النافع

استعدت يثرب لقتال مكة ، أو بعبارة أدق ، استعد الأنصار لقتال قريش ، فها هو ذا عمرو بن وهب الجمحى ، الذى أرسلته قريش ليعرف عدد المسلمين وعدتهم ، يقول لهم عندما رجع إليهم : هم ثلاثمائة ، يزيدون قليلا ،

---

(١) جمع قليب وهو البئر .

https://archive.org/details/@user082170

ولقد رأيت الولايا(١) تحمل المنايا ، نواضح(٢) يثرب تحمل الموت الناقع ، ليس لهم مَـنَعة إلا سيوفهم ، والله !! لا يُقتل رجل منهم ، إلا يَـقْـتـُل رجلا منكم .

١١٣ **الأنصار يبدأون المبارزة**

وأخيراً يترامى الجيشان فيبرز عتبة ، وشيبة ، أبناء ربيعة ، والوليد بن عتبة ، من صناديد قريش ، طالبين من يبارزهم ، وهنا يبرز عوف ومسعود الأخوان الخزرجيان ، وعبدالله بن رواحة الخزرجى ، وجميعهم من الأنصار .

القرشيون : من أنتم ؟

اليثربيون : من الأنصار !

القرشيون : أكفاء كرام ، وما لنا بكم حاجة ، ليخرج لنا أكفاؤنا من قومنا !

محمد : قم يا حمزة ، قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا على !

المتبارزون : يتشابكون ، ويصيب فتيان المهاجرين من فتيان قريش !

الجمعان : وهنا يتشابك الجمعان بالسلاح ، ويحتدم القتال ؟

محمد : اللهم هذه قريش !! قد أتت إليك بخُيلائها ، تحاول أن تكذّب رسولك ، اللهم نصرك الذى وعدتنى ، اللهم إن تَـهلك هذه العصابةَ اليوم(٣) ؛ لا تُعبد أبداً ، والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلا غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة(٤) .

١١٤ **بخ بخ ...**

وبينما النبى عليه السلام يقول هذا ، فيناجى ربه ، ويحمس المسلمين على

---

(١) جمع وليّـة وهى البرذعة .
(٢) جمع ناضحة وهى النوق .
(٣) يريد الأنصار .
(٤) رواه الشيخان والترمذى .

https://archive.org/details/@user082170

القتال الصادق ، والصبر فى الطعان ، إذا بعمير بن الحمام الأنصارى ، يسمع مقالته ، وكان بيده بعض تمرات يأكلهن ، فيقول مطوحا بالتمرات :

بَخٍ بَخٍ !! ما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ، فيقاتل ويقاتل ... ، ويضرب الأنصار بذات اليمين وذات الشمال ، وأخيراً .. تنجلى المعركة عن نصر تام ، وفوز مبين .

**١١٥ انى وجدت ما وعدنى ربى حقا**

وأخيراً ... وبعد انتهاء المعركة ، يأمر النبى بقتلى المسلمون فيدفنون ، وكانوا ثمانية من الأنصار ، وستة من المهاجرين ، ثم يأمر بقتلى المشركين فيدفنون كذلك ، ثم يقف عليهم قائلا :

يا آل قريش ! بئس عشيرة لنبيكم كنتم ! كذبتمونى وصدقنى الناس[1] ياعتبة ! ياشيبة ! يا . . . هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا .

نعم ... ها هم أولاء الأنصار ، يحسون الآن أنهم وعدوا محمداً فصدقوا الوعد ، وعاهدوا الله فوفوا بالعهد .

**١١٦ شاعر الأنصار يسجل بدر الأنصار**

هنا يرجع الأنصار فرحين ، وهنا يترنم شاعر الأنصار ، كعب بن مالك السلمى الخزرجى بقوله :

عجبت لأمر الله والله قادر ... على ما أراد ليس لله قاهر

فى يوم بدر إن تُلاقى معشراً ... بغوا ، وسبيل البغى بالناس جائر

وقد حشدوا واستنفروا من يليهم ... من الناس حتى جمعهم متكاثر

وسارت إلينا لا تحاول غيرنا ... بأجمعها كعبٌ جميعاً وعامر

---

(١) يقصد الأنصار .

وفينا رسول الله والأوس حوله          له معقلٌ منهم عزيز وناصر
فلما لقيناهم وكلٌّ مجاهد          لأصحابه مستبسل النفس صابر .
شهدنا بأن الله لا رب غيره          وأن رسول الله بالحق ظاهر(١)

## ٢ — الأنصار وقريش فى أحد

### ١١٧ قريش تأخذ بالثأر

رجع القرشيون إلى مكة وهم حريصون على الأخذ بثأرهم ، فأثر الهزيمة يحز فى نفوسهم ، إذ يتمَ الأنصار أبناءهم ، ورمّلوا نساءهم ،وأثكلوا أمهاتهم.

فأخذوا يستعدون ... ويستعدون عاما كاملا ، وأخيراً خرجت قريش بنسائها ، وشبابها وصناديدها ، بعَدَدَها وعديدها ، خرجوا فى ثلاثة آلاف، زاحفين إلى المدينة ؛ منهم سبعمائة منَ الرجال اللابسين للدروع ، ومائتان من الفرسان .

### ١١٨ محاولة أبى سفيان الوقيعة بين محمد وبين الأنصار

ويرسل أبو سفيان — محاولا الوقيعة — إلى الأنصار قائلا لهم :

خلوا بيننا وبين ابن عمنا فننصرف عنكم ، إذ لا حاجة لنا إلى قتالكم ، ولكنهم يهزأون ! قائلين : ان المسألة الآن ليست مسألة حلف لقريب ، ولا نصرة لمطرود ، ولكنه دين ووَقَر فى صدورنا ، وايمان استقر فى قلوبنا ، ودعوة لن نرجع إلا وهى خالدة ، وإسلام لن نتركه إلا بعد أن نؤسسه ، وننورّنه للبشرية جيلا بعد جيل ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

---

(١) ابن الأثير ج ٢ ص ٦٥ ، سيرة بن هشام ج ٢ ض ٦٧ .

١١٩ محمد والأنصار والمهاجرون يتشاورون

نرى الآن الأنصار والمهاجرين وعلى رأسهم محمداً يتشاورون :

فمن قائل : نقيم بالمدينة ، وندع قريشاً بظاهرها ، فان أقامت بشر ، وأن دخلتها قاتلناها ، وهذا قول شيوخهم ، كما هو قول منافقيهم .

ومن قائل : نخرج إليهم ، فنقاتلهم بظاهرها ، وهذا قول شبابهم ، وفتيانهم ومتحمسيهم ، لدرجة أن خيثمة الأنصارى يقول ، مفضلا الخروج ، متحدثا إلى النبي :

عسى الله أن يظفرنا بهم أو تكون الأخرى فهى الشهادة ، لقد أخطأتنى وقعة بدر ، وكنت عليها حريصاً ، حتى بلغ من حرصى عليها أن ساهمت ابنى فى الخروج فخرج سهمه ، فرزق الشهادة ، وقد رأيت ابنى البارحة فى النوم وهو يقول : إلحق بنا ترافقنا فى الجنة ، فقد وجدت ما وعدنى ربى حقاً ، وقد — والله يا رسول الله — أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته فى الجنة ، وقد كبرت سنى ، ورق عظمى ، وأحببت لقاء ربى !

وأخيراً وجد محمد الكثرة بجانب الرأى القائل بالخروج ، فدخل بيته ، ولبس لامته[1] ، وتقلد سيفه ، وخرج على الناس وهو يقول :

ماينبغى لنبى لبس لامته ، أن ينزعها ، حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ، انظروا ما آمركم به فاتبعوه ، والنصر لكم ما صبرتم !!

نعم كانت شورى أولا ، حتى إذا مُحِّصَ الرأى ، وبان اتجاه المجموع ، ووضح طريق الخير والسداد ، فإلى العمل ، وعلى الكل أن يطيع ، وعلى الجميع أن يسمع .

---

(١) درعه .

١٢٠ **الى الميدان لملاقاة العدو**

وأخيراً خرج الجيش المحمدى ، فى عدة ألف رجل ، بينهم مائة يلبسون الدروع ، وفارسان فقط ، ولواء الأوس مع أسيد بن حضير ، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ، ولواء المهاجرين مع على بن أبى طالب ، وخرج السعدان أمامه ، سعد بن عبادة الخزرجى ، وسعد بن معاذ الأوسى (١)

ولكن بعد أن يخرج الجيش يرجع عبد الله بن أبى بن سلول الخزرجى ورئيس المنافقين ، فيمن معه من الخزرج والأوس المنافقين ، ومن معه من اليهود حلفاءه وكانوا حوالى ثلاثمائة .

وهناك ... وبجوار جبل أحد ، اصطف المسلمون ، وجعل محمد وراء الجيش الرماة ، وعلى رأسهم عبد الله بن جبير الأنصارى ، قائلا له : انضَحْ عنا بالنبل حتى لا يأتوننا من خلفنا ، واثبت مكانك ، إن كانت لنا أو علينا .

١٢١ **انهزام المشركين أولا**

وهنا بدأت المعمعة ، فإذا بالسيوف تلمع ، وبصليلها يزأر ، فهذا ذو عصابة حمراء ، يتبختر بين المشركين ، عاملا فيهم سيفه الذى أعطاه له رسول الله ، قائلا :

أنا الذى عاهدنى خليلى ونحن بالسفح لدى النخيل
أنا لا أقوم الدهر فى الكيول (٢) أضرب بسيف الله والرسول

هذا هو أبو دجانة الأنصارى ، يحطم كل شىء أمامه ، ولا يفيق إلا على صوت هند امرأة أبى سفيان التى كانت تقول :

---

(١) السمهودى : ص ٢٠١ .
(٢) مؤخرة الصفوف .

https://archive.org/details/@user082170

نحن بنات طارق نمشى على النمارق
مَشْىَ القَطَا البوارق والمسك فى المفارق
والدرّ فى المخانقْ إنْ تقبلوا نُعانق
ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

فيهمّ أبو دجانة بضربها ، لولا أنه تذكر أن الذى بيده هو سيف رسول الله ، فصانه عما يشين[١].

١٢٣ **كيف دارت الدائرة على المسلمين ؟!**

ولكننا نرى بعض الرماة وقد أيقن بانتهاء الموقعة لصالح المسلمين ، يعمد إلى التقاط بعض المغانم ، فينهرهم رئيسهم عبد الله بن جبير ، فيحاولون إقناعه بانتهاء المعركة بالنصر للمسلمين ، وينتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة ، وهو على رأس خيالة قريش[٢] فيعمد إلى رئيس الرماة عبد الله بن جبير الأنصارى فيقتله ، وهنا يقع التفرق والانخذال فى صفوف الرماة ، وقد جعل هذا ظهر المسلمين ينكشف لقريش ، فأغارت عليهم غارة بخيلها تتبعها مشاتها ، فأعملوا السيف فى المسلمين ، وقد انضاف إلى ذلك أن قتل مصعب بن عمير ، صاحب لواء المسلمين ، وكانت قريش تعتقد أنه محمداً ، فأشاعوا خبر موته ، ففتّ ذلك فى عضد المسلمين أكثر وأكثر ، وتفرقوا أيّما تفرق ، إذ كان لذلك أثر معنوى ، انضاف إلى ذلك الأثر المادى ، الذى نجم عن قتل رئيس الرماة ، وزعزعتهم عن حماية ظهور المسلمين[٣] .

---

(١) السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٣ .
(٢) وكانوا مائتين .
(٣) السمهودى : ص ٢٠٤ .

https://archive.org/details/@user082170

١٢٣ رسول الله حى لم يمت

لولا أن الله سلم ! فاذا بكعب بن مالك الأنصارى ، ينادى فى المسلمين عند ما يرى النبى منهمكا فى رمى النبل ، ولو أن الجراح قد أصابته ؛ بأن رسول الله حى لم يمت ، وهنا تكاثر الأنصار والمهاجرون ، يذبون عنه ، ويحيطون به من كل جانب ، حتى أن أم عمارة الأنصارية ، وقد كانت مع الجيش تسقى المسلمين المجاهدين بسقائها ، رمَتْ السقاء ، واستلت سيفاً ، وأخذت تضرب به ذات اليمين وذات الشمال ، ذابّةً عن النبى ، وجاعلة نفسها بينه وبين النبال حتى لا تصل إليه ، أما أبو دجانة الأنصارى ، فقد جعل نفسه ترساً ووقاية لمحمد ، إذ حنىَ ظهره فوقه ، فكان النبل يقع فيه ، أما سعد بن معاذ فحدّث عن ذلك ما شئت !! لأن التاريخ يروى عنه أنه رمى فى هذه الموقعة ألف سهم ، وكان يهيئها النبى ويقول له : إرم ! فداك أبى وأمى ! وقد وجد به عند نهاية الموقعة ثمانين جرحا !!

وحينئذ فقط ، أمكن للمسلمين أنصاراً ومهاجرين ، أن يثبتوا حول محمد ، ويركزون قوتهم ، وقد كان من الأنصار : أبو دجانة ، والحباب ابن المنذر ، وسعد بن عبادة ، ومحمد بن مسلمة ، وعاصم بن ثابت ، والحارث ابن الصمة ، وسهل بن حنيف ، وسعد بن معاذ . وكل منهم يقول لمحمد :

وجهى دون وجهك ، ونفسى دون نفسك ، وعليك السلام غير مودّع !

وكذلك اجتمع حوله جماعة من المهاجرين ، على رأسهم : أبو بكر ، وعمر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة ، والزبير ، وأبو عبيدة ، وعلى[1]

وبعد أن اجتمع حوله من أبطال المهاجرين ، وصناديد الأنصار مارأيت ،

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٥ .

https://archive.org/details/@user082170

أمكن للمسلمين أن تجتمع كلمتهم ، وترفرف رايتهم ثانية ، ولكن لا للحرب ، وإنما ليوهموا قريشاً أن بهم قوة ، وأن فيهم مقدرة على القتال ، وأن نبيهم محمداً لا زال حيًّا بينهم ، يعطيهم من إيمانه ، ويَنْفُثُ في صدورهم قرآنه ، وذلك لأن قريشاً كانت تريد الإغارة على المدينة ، فتأتى على أهلها .

لهذا رأت قريشٌ بعد أن تلم شعثها هذا المساء ، أن تقوم بذلك فى الصباح ، ولكن محمداً وهو القائد الخبير ، يجمع أصحابه بعد رجوعه إلى المدينة ، وكان ذلك يوم السبت ، فيستنفرهم إلى الخروج وراء قريش صباح الأحد ، وفعلا خرجوا متحمسين ، ولو أن بهم ضعفاً ماديًّا ، وجراحاً قاتلة ، ولما علمت بذلك قريش ، ولت أدبارها ، ورجعت إلى مكة ، لا تلوى على شىء !

### ١٢٤ سعد بن الربيع الخزرجى يوصى بعد موته

ولما فرغ الناس من قتلاهم دفنا ، أرسل النبى عليه السلام أنصارياً ينظر سعد بن الربيع ، ولما وجده بين القتلى الذين فى النزع الأخير ، قال له : إن رسول الله أمرنى أن أنظر : أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟

سعد الخزرجى : أنا فى الأموات ، أبلغ رسول الله عنى السلام ، وقل له إن سعد بن الربيع الخزرجى ، يقول لك : جزاك الله عنا خيراً ما جزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك وقل لهم : إن سعد ابن الربيع يقول لكم : لا عذر لكم ، إن خلص عدوكم إلى نبيكم ، وفيكم عينٌ تطرف .

محمد : يدعو له ، ويبشر عنه بالجنة(١)

---

(١) ابن الأثير ج ٢ ص ٧٦ .

https://archive.org/details/@user082170

١٢٠ كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله!

وأخيراً رجع المسلمون ومعهم نبيهم ، وهم به جد فرحين ، لدرجة أن امرأة من الأنصار مات عنها زوجها ، وأبوها وأخوها ، قالت عند ما أخبرت بموتهم : وأين رسول الله ؟ فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل يارسول الله !

نعم رجع المسلمون ومعهم نبيهم وإن انهزموا ، لأنهم يعرفون سبب هزيمتهم ، وهى : عدم طاعة الرماة لقائدهم الأعلى وهو محمد ، ولقائدهم المباشر وهو عبد الله بن جبير ، ويعرفون كذلك أن هذه المعركة ليست بالموقعة الفاصلة

نعم رجعوا بالنبى وهو الذى سيقودهم إلى النصر الأكيد ، نعم ... هكذا قال لهم ، وهو الصادق الأمين .

١٢١ ضحايا المسلمين

تدل الإحصاءات المتعلقة بهذه الموقعة ، على أن أحداً من المسلمين لم يؤسر ، لأن شعارهم كان أَمِتْ أَمِتْ ،

أما قتلاهم فقد كانوا حوالى السبعين :

أربعة من المهاجرين ، والباقين من الأنصار .

١٢٢ شعراء الأنصار يسجلون موقعة أحد

وقد قال حسان بن ثابت الخزرجى الكثير من الشعر ، والرزين من القصيد .

وقال غيره كذلك يسجلون مفاخر الأنصار ، وفضائل الأبطال ، فنرى كعب بن مالك السلمى الخزرجى الأنصارى الشاعر السهل يقول :

سائل قريشاً غداة السَّفْح من أُحد ماذا التقينا وما لاقوا من الهرب ؟
كنا الأسود وكانوا النمر إذ زحفوا ما إن تراقب من إلٍّ ولا نسب
فكم تركنا بها من سيدٍ بطلٍ حامى الذِّمار كريم الجدِّ والنسب !

https://archive.org/details/@user082170

فينا الرسول شهاب ثم نتبعه ... نور مضيء له فضل على الشهب
الحق منطقه والعدل سيرته ... فمن يجبه اليه ينج من تبب
بدا لنا فاتبعناه نصدقه ... وكذبوه فكنا أسعد العرب
جالوا وجلنا فما فاؤا وما رجعوا ... ونحن نثفنهم لم نأل فى الطلب
ليسا سواء وشتى بين أمرهما : ... حزب الإله وأهل الشرك والنصب

١٢٩

## ٣ — الأنصار ويوم الأحزاب

١٢٨ العرب واليهود جميعا يحاصرون المدينة

لم يمض على الأنصار غير شهور على هزيمتهم فى أحد ، ولم تندمل جراحهم بعدُ من مجزرتها ، حتى رأينا العرب جميعاً ترميهم عن قوس واحدة ، فهم الآن فى أشد محنة عرفها تاريخهم الجاهلى والإسلامى :

١ — فالقرشيون : ومعهم حلفاؤهم وتوابعهم ، يعسكرون بظاهر المدينة ، وكلهم متشوق للأخذ بثأر قتلى بدر ، فمنهم الأب ، والأخ ، والعم ، وجميعهم متحمّس للقضاء على محمد وشيعته .

٢ — أما الغطفانيون : فقد تحالفوا مع قريش مرضاة لها ، وطمعاً فى نصف ثمر خيبر الذى وعدهم به اليهود .

وكان عدة هؤلاء جميعاً ، حوالى عشرة آلاف مقاتل .

٣ — أما اليهود : فهم الذين جمّعوا هذه الجموع ، وهم الذين حزّبوها وأمدوها بالمال والعَتاد ، وبالذخيرة ، أخذاً بثأر بنى قينقاع التى أجلاها محمد عن المدينة ، ونصرة لبنى النضير ؛ التى حرمها من ديارها المسلمون .

٤ — أما بنو قريظة : وقد كانوا فى حلف مع المسلمين ، فقد أفلح حييّ ابن أخطب اليهودى ، فى حمل زعيمهم كعب بن أسد القرظى اليهودى ، على

https://archive.org/details/@user082170

نقض المعاهدة التى أبرمها محمد والأنصار معهم .

٥ — أما المشركون والمنافقون : فهم داخل المدينة ، يفرقون بين الناس ، ويهدون من قوتهم المعنوية ، بزعامة رئيسهم عبد الله بن سلول الخزرجى[١] .

١٢٩٨

## أكبر تجربة لإسلام الأنصار !

ها هو ذا البلاء يعظم ، وها هى ذى العرب جميعاً واليهود أجمع تتحفز ، فالأرض تضيق بما رحبت ، وأعداء الإسلام وهم كل من حولهم فى الجزيرة العربية ، يتكالبون ويتألبون عليهم ، من فوقهم ، ومن تحت أرجلهم ، ومن بين أيديهم ، فقد قال ما قال المنافقون ، ونشط أيما نشاط المشركون ، داخل المدينة نفسها .

فمن قائل : إن محمداً كان يعدنا أن نأكل من كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط ، إلى قائل آخر ، عند ما طلب الفرار وعلى ملأ من قومه : إن بيوتنا عورة من العدو ، فأذن لنا يا محمد فى أن نرجع إلى دارنا .

فماذا فعل الأنصار ؟ وماذا فعل قائدهم محمــــد ؟ وماذا فعل زملاؤهم المهاجرون ؟

بل ... ماذا فعل الأنصار ؟ لأن هذه ديارهم ، وتلك أموالهم ، أما محمد ، أما المهاجرون ، فليس لديهم مايخافون تلفه أو هلاكه ، وليس وراءهم النساء تُسبى ، والذرارى تُستعبد ، والدور تخرّب .

نعم ... ماذا فعل الأنصار ؟ لم يتزعزع إيمان الأنصار مقدار شعرة ، ولم يتراجع إخلاصهم لمحمد ، ولدين محمد قيد أنملة ، بل أسلموا أمرهم للنبى يديره

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٩٠ .

كما يرى ، وما هم إلا جنود بين يدى الرسول : عليهم السمع والطاعة ، فى العسر واليسر ، فى المنشط والمكره ، على هذا بايعوا الله ورسوله ، ولهذا أخلصوا حتى يسلموا الروح ، وحتى يزهق آخر نفس !

١٣٠ **الحرب الدفاعية أو حرب الخنادق**

وأول شئ فكر فيه المسلمون ، هو حماية المدينة من الغزو المفاجئ ، فاهتدوا إلى الخندق ؛ إذ يقيهم الكرة المفاجئة ، والهجمة التى تلتحف بالظلمة ، وتستتر بالعتمة ، وهنا ... وبعد إقراره ، يتبارى الأنصار والمهاجرون ، ومعهم محمد نفسه ، فى العمل ليلا ونهاراً ، متعاونين رجالا ونساء ، وجعل ابن رواحة الأنصارى يقود العمل بأهازيجه المنشطة لجسومهم ، وأراجيزه المقوية لعضلاتهم .

١٣١ **سعد بن عبادة حامل لواء المسلمين**

وقد كانت عدة المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل ، وعلى رأس الأنصار ، حامل لوائهم ، سعد بن عبادة الخزرجى (١) ، وعلى رأس المهاجرين زيد بن حارثة ، وعسكر النبى بجيشه هذا بظاهر المدينة ، وجعل الخندق بينه وبين الأحزاب — قريش وما حالفها من العرب — فكان يحميهم من الهجمة السريعة المفاجئة ، ليلية أو نهارية ، وكانوا هم كذلك يحمون الخندق ، حتى لا يعمل فيه المهاجمون رؤوس كبارى يقفزون عليها إلى داخل المدينة ، فكانوا يسهرون عليه متناوبين ، والنبال فى أيديهم يصوبونها للفضاء ، عند ما يطل عليهم شبح ، أو يتراءى لهم خيال .

١٣٢ **لا صلح مع قريش**

طال الحصار من الأحزاب ، وطال أمده على من بداخل المدينة ،

---

(١) السيرة الحلبية جزء ٢ ص ١٣٣

https://archive.org/details/@user082170

وزادت وطأته عليها ، إذ كل مواردها التى عليها تعيش ، هى من خارجها ، فأخذ رسول الله يفكر ويفكر . . . فماذا رأى ؟ رأى قريشاً لا يمكن التحدث معها بتاتاً فى صلح أو فى مهادنة ، إذ هى لا تريد من حربها إلا القضاء على هذا الدّين ، ومَحْوَ تلكَ الدعوة من الوجود ، وإبادة تلك الفئة المسلمة ، ومن ثَمَّ البقاء على قداسة أصنامها ، وجلال آلهتها ، وطبعاً دون هذا خرط القتاد .

**مصالحة الغطفانيين**

أما الغطفانيون : فقد يمكن التحدث معهم لأن اليهود قد وعدوهم نصف ثمر خيبر ، مقابل حلفهم لهم ، وحربهم المسلمين ، وإبادتهم الأنصار

إذاً هم يريدون المنفعة المادية ، فلماذا لا يعطيهم المسلمون ثلث ثمر المدينة ؟

وفعلا سارت السفراء بينهم وبين محمد ، فيرضى الغطفانيون ، ويُكتب مشروع المعاهدة بين المتصالحين ، ويُعَدُّ للتوقيع والإشهاد .

سارت هذه المفاوضة سراً بين قواد الغطفانيين ، وبين قائد المسلمين محمد ، ولكن الآن . . . وقد وصلت المحادثات إلى مرحلة قد تكون حاسمة ، فهذا وقت إعلانها ، والمشاورة فيها ؛ فاذا بالرسول يطلب سعد بن عبادة سيد الخزرج ، وسعد بن معاذ سيد الأوس ، فيذكر لهما ذلك ويستشيرهما فيقولا له :

يا رسول الله ! أأمراً تحبه فنصنعه ؟ أم شيئاً أمرك الله به ، لا بد لنا من أن نعمله ؟ أم شيئاً تصنعه لنا ؟

محمد : لا بل شىء أصنعه لكم ، وإنى ما أصنع ذلك ، إلا لأنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما .



https://archive.org/details/@user082170

سعدبن معاذ : يارسول الله ! قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله ، وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون فى أن يأكلوا منّا ثمرة ، إلا قِرًى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزنا بك وبه ، نعطيهم مِن أموالنا ؟ والله ما لنا بهذا من حاجة ، لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

محمد : يناول سعد بن معاذ الصحيفة ، قائلا له : فأنت وذاك .

سعد : يمحو ما فيها من كتابة قائلاً كلمته الخالدة ، التى هى كلمة الأنصار ، والتى بها أعلنوا الحرب إلى النهاية ، والقتال إلى آخر نَفَس :

ليجهدوا علينا

١٣ سفارة سرية للسعدين لدى اليهود

بعد هذا أراد محمد والأنصار ، الاستيثاق من يهود بنى قريظة ، فأرسل لهم سعد بن عبادة الخزرجى ، وسعد بن معاذ الأوسى ، وعبد الله ابن رواحة الخزرجى .

محمد : انطلقوا حتى تنظروا ، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقاً فألحنوا إلىّ لحناً أعرفه ، ولا تفتّوا فى عضد الناس ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم ، فاجهروا به للناس

الأنصار : يخرجون حتى يأتوا دارهم ، فيدخلوا عليهم متحدثين معهم فيما أتوا بشأنه .

بنو قريظة : لاعهد بيننا وبين محمد ولا عقد ، ثم قالوا كلاما كله سب وشتم

سعدبن معاذ : — وكان رجلا فيه حدّة — يرد عليهم شتمهم وسبهم ، متوعداً إياهم

https://archive.org/details/@user082170

سعد بن عبادة : دع عنك مشاتمتهم ، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة !

الأنصار : يذهبون ليخبروا محمداً بما حدث .

محمد : الله أكبر ! الله أكبر ! أبشروا يامعشر المسلمين[1] .

**١٣٥ الحرب خدعة وفرق تسد بانعيم على الأرض**

وأخيراً وفى هذا الظلام الحالك ، من الضيق والشدة والجهد ، يتسلل نعيم بن مسعود الغطفانى وكان كبير قومه ، ليقول لمحمد : إنى أسلمت ، ولم يعلم قومى بإسلامى ، فمرنى بما شئت .

محمد : يقول قولته الخالدة ، التى تعتبر دستور الحرب ، ورائد المقاتل :

إنما أنت رجل واحد ، فخذّل عنا ما استطعت ، فإن الحرب خدعة .

نعيم : يذهب ، ويزوّر فى نفسه خطة ، ويُعِدّ بينه وبين ربه ما يقول ، فيسير بين جميع الأحزاب ، فيقول لهذا الجمع كلاما ورأيا ، يخالف ما يوصى به الآخر ، وكان ذا رأى وهيبة عندهم .

فإذا بالأحزاب جميعاً يتخاذلون ، واذا بحلفهم وبالرباط الذى بينهم يتحلل ، وينفرط عقده .

**١٣٦ والله يرسل الريح العاتية من السماء**

وهنا تُعاون القوة السماوية ، هاته الحنكة البشرية ، فإذا بريح عاتية ، فى ليال شاتية ، تهب على الأحزاب من كل جانب ، فتُكفأ القدور ، وتُذرى الخيام ، وتُهزّ الجسوم ، بل ترج القلوب ، وتُمزق النفوس ، فإذا بهم يفرون ولا يلوون على شىء .

**١٣٧ أثر هذه الحرب الشاملة**

نعم ذهبوا ولم يبق من آثارهم شىء ، ولم يخلّد من ذكرهم أمر ،

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٤ وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٩٢

https://archive.org/details/@user082170

اللهم إلا أمراً واحداً ، وشيئاً لا نظير له هو :

ان الأنصار ، أنصار الاسلام حقاً ، قلوبهم عامرة بالإيمان ، ونفوسهم مليئة بالإخلاص ، لدين محمد ، ولدعوة الله .

## ١٣٨ الى يهود بنى قريظة

نعم ترك الأحزاب سعد بن معاذ ، وقد رماه أحدهم بسهم فقطع عرقه الأكحل ، وهى رمية مميتة ولاشك ، فدعا الله بعد أن تفرقت الأحزاب قائلا :

اللهم ! وإن قد وضعتَ الحرب بيننا ، فاجعلها لى شهادة ، ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة ، وكانوا حلفاء الأوس ومواليهم فى الجاهلية ، فهو كان يعتبر نفسه مسؤولا عنهم ، فنقض حلفهم كأنه موجه إليه .

وفعلا رحلت قريش عن المدينـة ، ورحلت أحزابها ، وما أصبح الصباح ، حتى أذن مؤذن محمد : من يسمع الله ، ويطع الرسول ، فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة .

وهنا يحاصر المسلمون يهود بنى قريظة ، قرابة شهر جزاءاً وفاقا ، لمـا خانوا من عهد ، ولما نقضوا من حلف ، وأخيراً نزلوا على حكم الرسول .

## ١٣٩ الحكم لسعد بن معاذ الأنصارى

أما محمـد فقد نزل عن حكمه مفوضاً إياه ، سعد بن معاذ حليفهم فى الجاهلية ، وسفير الرسول إليهم فى الاسلام .

وهنا أُحضر سعد بن معاذ راكباً حماراً ، حيث كانت علته قد اشتدت عليه ، فحكم سعد حكمه الخالد ، الذى قال عنـه الرسول : إنه والله حكم نزل من السماء :

١ — المقاتلون من الرجال يُقتلون

٢ — الصبيان والنساء يسبون

https://archive.org/details/@user082170

٣ — الأموال غنيمة لله ولرسوله

فنفذ الحكم على مرأى من سعد بن معاذ ومسمع ، وقد رأى أن الله قد استجاب دعاءه .

وحقاً كأن الموت كان معه على ميعاد ، إذ فاضت روحه إلى خالقها ، بعد تنفيذ الحكم مباشرة .

وليس ذلك ببعيد على الله ؛ أن يستجب لسعد دعاه ، فهو الذى محا صحيفة غطفان ، وهو الذى لم يقبل للمسلمين ولا لمحمد الذلة والهوان ، وما ذلك إلا لإخلاصه لمحمد ، ولدين محمد ، فلماذا اذاً ؟ لا يستجيب الله دعاء من يلبى نداه ، ويتخذه من دون الناس جميعاً ربه ومولاه !

١٤٠ **شعراء الأنصار يسجلون يوم الأحزاب**

فقد سجله كعب بن مالك السلمى الخزرجى « كما سجله غيره » بقوله :

وسائلة تسائل ما لقينا ؟ ولو شهدتْ رأتنا صابرينا
وكان لنا النبى وزير صدق به تعلو البريَّة أجمعينا
نقاتل معشراً ظلموا وعقوا وكانوا بالعداوة مرصدينا
نعاجلهم إذا نهضوا إلينا بضرب يعجل المتسرعينا
لننصر أحمداً والله حتى نكون عباد صدق مخلصينا
ويعلم أهل مكة حين ساروا وأحزاب أتوْا متحزبينا
بأن الله ليس له شريك وأن الله مولى المؤمنينا

## ٤ — الأنصار وفتح مكة

١٤١ **وصاة سعد لسعد ، أو وصية أنصارى لأنصارى**

قبل أن يموت سعد بن معاذ زعيم الأوس ، وحينما كانت قريش تحاصر

https://archive.org/details/@user082170

المدينة مع أحزابها ، وقد أرادت قتل الإسلام فى مهده ، وخنق محمد فى عرينه ، وإبادة حماته ونصرائه . نعم ... قبل أن يموت سعد ناجى ربه قائلا :

اللهم إن كنت قد أبقيتَ من حرب قريش شيئاً ؛ فأبقنى لها ، فإنه لا قوم أحبّ إلىّ أن أقاتلهم من قوم آذوا نبيك وكذبوه ، وإن كانت قد وضعت الحرب بيننا ، فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقرّ عينى من بنى قريظة

نعم دعا سعد ربه بذلك ، فاستجاب دعاءه فى بنى قريظة ، ثم مات بعدها ، وترك سعد بن عبادة ابن عمه زعيم الخزرج ، ليتلق جواب ربه ، فيما طلبَه لقريش بدلا منه .

### ١٤٢ المسلمون يزحفون

ها هو ذا سعد بن عبادة يذكر ذلك ، عند ما أمر النبى بالزحف على مكة ، وأمامه ومن ورائه المسلمون ، فى عشرة آلاف مقاتل ، وعلى رأس كل قبيل زعيمه ولواؤه ، فها هى ذى قبائل بنى غفار ، وبنى سليم ، ومزينة ، وجهينة ، وتميم ، وأسد ، وقيس ، وعلى رأس الجميع الأنصار والمهاجرون

### ١٤٣ الكتيبة الخضراء

أما قبيل محمد ، أما كتيبة الرسول ، فهى الكتيبة الخضراء[1] ، وهى خالصة من الأنصار والمهاجرين ، وقد كانت تتوسط الجموع الزاحفة والجيوش الزاخرة

### ١٤٤ سعد بن عبادة يحمل اللواء

وها هو ذا سعد بن عبادة الخزرجى الأنصارى ، زعيم الخزرج ، وسيد الأنصار يحمل العلم فى مقدمة الكتيبة ، وها هو ذا محمد عليه السلام فوق

(١) وسميت الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها ، وقد سجل هذا الاسم حسان ابن ثابت الخزرجى ، شاعر الاسلام يوم بدر فقال :

لما رأى بدراً تسيل جلاهه ... بكتيبة خضرا من الخزرج

سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٩ وابن عساكر ج ٦ ص ٤٠٠

ناقته القصواء ، مفترَّ البسمات ، مبسوط التقاسيم ، وعن يمينه أبو بكر ، وعن يساره أسعد بن حضير الأوسى الأنصارى ، يتحدث إليهما .

وها هى ذى الكتيبة الخضراء ، وفيها المهاجرون والأنصار ، تمر وراءهم ، ومع كل بطن من الأنصار لواؤه وبيرقه ، وجميعهم فى الحديد ، ولا يرى منهم إلا حُدق العيون ، إذ كلهم فى الدروع ، واللامات .

**١٤٥ سعد بن عبادة يتوعد قريشا**

وعند ما يرى سعد بن عبادة ، أبا سفيان بن أمية زعيم قريش ، يتذكر وصاة ابن عمه سعد بن معاذ فيقول له ، ويوجه كلامه لقريش وهى على شركها ، وقد صمَّت آذانها إلى الآن عن دعوة محمد وعاندت رسالة الاسلام ، فالخزرج ليس بينها وبين قريش ثارات قديمة ، ولا حزازات عتيدة ، وإنما الثورة للإسلام ، والعصبية فى الدفاع عن الدين ، وعن تعاليم القرآن ، هى التى جعلت سعداً يتوعد قريشاً فيقول :

اليوم اليوم الملحَمَة
واليوم تُستَحل الحُرْمة
اليوم أذل الله قريشاً

**١٤٦ قريش تفزع الى رسول الله**

فاذا بقريش على بكرة أبيها تفور وتمور حينئذ ، وإذا بأبى سفيان وقد أسلم يقول لمحمد : إنى أناشدك الله فى قومك ! فأنت أبرُّ الناس ، وأوصل الناس ! هلا سمعت قول سعد بن عبادة ؟ اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشاً .

وإذا بشاعر قريش ضِرار بن الخطاب يقول لمحمد بين يديه :

يانبي الهدى إليك لجا حَيُّ قريش ولات حين لجاء

https://archive.org/details/@user082170

حين ضاقت عليهم سعة الأر ضَ وعاداهم إلى السماء

إن سعداً يريد قاصمة الظه ر بأهل الحجون والبطحاء

خزرجى لو يستطيع من الغيـ ـظ رمانا بالشر والغــــواء

فلئن أقحم اللواء ونادى : يا حماة اللواء ! يا أهل اللواء !

ثم ثابتْ إليه من بُهْم الخز رج والأوس أنجم الهجاء

لتكونن بالبطاح قريش مضغة القاع فى أكف الأماء

فانهينه فأنه أســـد الأسـ ـد لدى الغاب والغ فى الدماء(١)

ثم يتقدم عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، إلى رسول الله قائلين :
ألا تأمر يارسول الله ! ألا يكون لسعد فى قريش صولة ؟!

**١٤٧ أعط الراية ابنك قيسا ياسعد !**

هنا ... أحس الرســول ضعف قريش وذلتها ، فها هى ذى قد أتت إليه بزعمائها وشعرائها ، تستسلم بين يديه

هنا ... أحس محمد أنها سائرة إلى الاسلام بخطوات سريعة ، فليس هناك معنى لاستلامها إلا إسلامها ، فيقول لأبى سفيان :

اليوم يوم المرحمة ... اليوم أعز الله قريشاً ...

راجياً بذلك تأليفهم إلى الاسلام ، طامعاً فى أن يكونوا للاسلام خير عَوْن ، وللدعوة المحمدية أكبر نصير ، ثم يرسل إلى سعد بن عبادة ، بأن يدفع اللواء لابنه قيس ، فيذعن سعد لأمر النبى ، وهو المؤمن المخلص لمحمد ، والسميع المطيع لأمر الرسول ، سيما أن سعداً قد عرف أن ذلك الأمر حقاً صادر من محمد ، إذ أرسل له عمامته إشارة بذلك ، ودليلا على هذا .

---

(١) الروض الأنف ج ٢ ص ٢٧١

https://archive.org/details/@user082170

١٤٨ **كلمة السر بين المسلمين**

فيدخل المسلمون مكة ، وكان شعارهم الذى به يتعارفون ، وكلمة السر التى بها يتجمعون ، لاعتقادهم أن ستكون هناك حرباً شعواء :

يا بنى عبد الله ! للخزرج

ويا بنى عبيد الله ! للأوس

ويا بنى عبد الرحمن ! للمهاجرين ، ولكنهم يدخلونها ولا يلقون حربا .

١٤٩ **اذهبوا فأنتم الطلقاء**

هنا يصل محمد إلى الكعبة ، ثم يقف على بابها ، بعد أن كسر أصنامها ، وأباد معالم شركها ، ويرسل قولته المشهورة فى العفو والتسامح ، والتى لا يمكن أن تصدر إلا عن نبى مثله :

محمد : لا إِلَهَ إِلاَّ الله ، وَحْدَه ، صَدَق وَعْدَه ، وَنَصَرَ عَبْدَه ، وَأَعزَّ جُنْدَه ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَه ، يا أَيُّهَا النَّاس ! إنا خَلَقْنَاكُمْ من ذَكَرٍ وَأُنثى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتقاكُمْ .

يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل بكم ؟

قريش : أخ كريم ، وابن أخ كريم !

محمد : اذهبوا فأنتم الطُّلَقَاء

١٥٠ **حسان بن ثابت الأنصارى يخلد فتح مكة**

وقد خلد شاعر الأنصار ، حسان بن ثابت الخزرجى الأنصارى ، هذا اليوم فقال بعض أبيات مخاطبا قريشاً :

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء

وإلا فاصبروا لجلاد يوم يعين الله فيه من يشاء

https://archive.org/details/@user082170

وجبريلٌ رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله : قد أرسلتُ عبداً ... يقول : الحقَّ إن نفع البلاء
شهدتُ به فقوموا صدقوه ... فقلتم : لا نقوم ولا نشاء
وقال الله : قد سيّرت جنداً ... هم الأنصار عرضتها اللقاء
ألا ابلغ أبا سفيان عنى ... مغلغلة فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركتك عبداً ... وعبدُ الدار سادتها الأماء
هجوتَ محمداً وأجبْتُ عنه ... وعند الله فى ذاك الجزاءُ
أتهجوه ولستَ له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء
هجوتَ مباركا برًّا حنيفاً ... أمين الله شيمته الوفاء
أمَنْ يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء
فإنَّ أبى ووالدَه وعِرضى ... لعرض محمد منكم وِقاء
لسانى صارم لا عيب فيه ... وبحرى لا تكدّره الدّلاء

## ٥ — الأنصار والعرب

ها هم أولاء الأنصار ، يتهامسون بين نفوسهم وضمائرهم فيقولون :

ها هى ذى قريش ، وقد أذعنت لنبينا نحن الأنصار ، وخضعت لكلمة الإسلام ، إسلامنا الذى أسسناه بحدّ السيف ، وقوة قلوبنا ، وها هو ذا المؤذن ، وقد أصبح صوته يجلجل فوق أعالى الكعبة ، كعبة الإسلام ، وبيت الله الحرام ، ولكن قريشاً ليست كل العرب !!

فماذا تفعل الأنصار مع العرب ؟ حتى يدينوهم لكلمة الإسلام ، وحتى يذعنوهم لإرادة محمد نبى الله ، وقد رأيت فى غزوات الأحزاب أنه كان مع قريش عرب غطفان وغيرها .

https://archive.org/details/@user082170

لهذا نرى محمداً عليه السلام ، يرسل سرايا مختلفة إلى العرب المجاورين للمدينة ، ليخضدوا من شوكتهم ، أو ليدفعوهم إلى الإسلام .

١٥١ **الأنصار وعرب هوازن**

فنرى أنه بعد فتح مكة مباشرة ، يسمع المسلمون بتجمعات لعرب هوازن من ثقيف ، ومعها بنو نصر ، وبنو جشم ، وبنو سعد بن بكر ، وبنو هلال .

فيشير محمد بالخروج لقتالهم ، فيخرج على رأس أصحابه ، مهاجرين وأنصاراً ، وينضم إليهم آل مكة ، الذين أسلموا حديثاً ، وكان مجموع الجيش اثنى عشر ألفاً .

وهناك حطوا رحالهم بوادى حُنَيْن ، وكانت هوازن ومن معها قد سبقتهم ، وكَمَنَتْ لهم فى شِعاب الوادى ، وفى أحنائه ومضايقه ، وقد أجمعوا وتهيأوا وأعدوا ، يقول أحد الصحابة : فما راعنا إلا الكتائب من هوازن وغيرها ، قد كرّت علينا كرّة رجل واحد ، فانهزم الناس منا ، لا يلوى أحد على أحد ، وانحاز رسول الله ذات اليمين ، ثم قال :

إلى أين ؟! إلى أين أيها الناس ؟ هلموا إلىّ !! أنا رسول الله !! أنا محمد ابن عبد الله ! ولكن لا شىء ! فقد حملت الإبل بعضها على بعض ، منطلقةً ومعها الناس كذلك !

هنا ... وفى ذلك الوقت ، قال المنافقون ، وتكلم المزعزعون ، سيما من آل مكة ، وقد كان فى المسلمين منهم ألفان ، وهم حديثو عهد بالإسلام ، وقد أذعنوا له بالسيف ، فهذا قول يُرْوَى عن أبى سفيان بن حرب بن أمية ، وتلك جملة تروى عن ثان ، وذلك رأى يحكى عن ثالث ، وكلها تفيض استهزاءًا ، وتنم عن رغبة فى التشفى والانتقام .

https://archive.org/details/@user082170

ولكن . . . ولكن . . . أين الأنصار ؟ أين حماة الإسلام ؟ وذادة النبوة ؟

١٥٢ **النجدة ... النجدة ... يا للأنصار !.. يا للأنصار !**

ها هو ذا العباس بن عبد المطلب ، وهو آخذ بزمام بغلة رسول الله البيضاء يقول : كنت امرأً جسيما ، شديد الصوت ، ورسول الله يقول حين رأى ما رأى : أين أيها الناس ؟ ولكن لا أرى الناس يلوون على شيء ! فقال : يا عباس اصرخ :

يا للأنصار ! يا معشر الأنصار ! يا للخزرج !

فأجاب الأنصار محمداً من كل فج : لبيك !! لبيك !!

فيذهب الرجل منهم ، ليثنى بعيره ليرجع به ، فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه ، فيقذفها فى عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه ، ويقتحم بعيره مخلياً سبيله ، حتى يؤم الصوت ، فينتهى إلى رسول الله ؛ حتى إذا اجتمع منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا ؛ وكان النداء أولا : يا للأنصار ، ثم خلصت أخيراً : يا للخزرج ، وكانوا صبراً عند الحرب .

وأخيراً أشرف رسول الله فى ركائبه ، فنظر إلى مجتلد القوم وهم يجتلدون ، ثم قال محمساً لهم :

أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ، الآن حمى وطيس القتال[1] .

ومن الصور الكثيرة التى كانت تقع عليها عينك ، مثل صورة على بن أبى طالب ، الذى يتسابق مع رجل من الأنصار ؛ ليأتيا صاحب لواء هوازن ليهويا عليه بالسيف ؛ فيضرب علىّ عرقوب جمله ؛ فيقع على عجزه ، فيثب الأنصارى

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٩٠ .

https://archive.org/details/@user082170

على الرجل ، فيضربه ضربةً ، بها تطير قدمه بنصف ساقه

نعم ... ها هى ذى الحرب حقاً ، وها هم أولاء الأنصار يصدُقون كعادتهم فى الكرّ والفرّ ؛ فإذا بنا نرى أخيراً ... نرى الأسرى مكتّفة ؛ والجرحى ممزقة ؛ والفارين منطلقين لا يلوون على شىء .

نعم ها هم الأنصار الآن ... والآن فقط ... يمكنهم أن يتنفسوا الصعداء قائلين ، كما قالوا دائماً :

اللهم إنا قد بلغنا الأمانة ؛ وأدينا الرسالة ؛ اللهم فاشهد .

## ٦ — الأنصار والمشركون والمنافقون

وهناك عنصران لا يقلان خطراً عن العناصر السابقة وهما :

الأنصار والمشركون داخل المدينة ١٥٣

وقد كان المشركون بالمدينة ، ينتهزون فرص الضعف فيكيدون ، ومناسبات التفريق فيتكلمون ، ولكن الأنصار كانوا أقوياء عليهم برأيهم ، وكلمتهم ، وشوكتهم .

وقد زاد المسلمين شوكة وقوة ، أيما شوكة وقوة ، انتصارهم ببدر ، فيحدّث التاريخ :

بأنه عند رجوع الأنصار من بدر ، وثب سالم بن عمير الأنصارى على أبى عفك ، أحد بنى عمرو بن عوف الأوسى ، الذى كان يرسل الأشعار طعناً فى محمد ، وسباً فى المسلمين .

إذ ذهب إليه سالم فى إحدى الليالى الصائفة ، بينما كان أبو عفك يغط فى نومه بفناء داره ، فوضع سالم السيف على كبده حتى خش « دخل » فى الفراش

https://archive.org/details/@user082170

وكذلك نرى عمير بن عوف الأنصارى يدلج ليلا ، ومعه سيفه ، إلى منزل بحى بنى خطمة الأوسيين ، فيجد فيه عصماء بنت مروان ، وكانت شديدة الذم والقدح فى المسلمين ، فيجد حولها ، نفراً من بنيها ، فأبعد عنها من كانت ترضعه ، ثم وضع السيف فى صدرها ، حتى أنفذه من ظهرها ، ثم ذهب عمير إلى النبى يخبره الخبر ، ولما رجع من عنده وجد جماعة من بنيها يدفنونها ، فقالوا له : يا عمير أأنت قتلتها ؟ قال : نعم ، كيدونى جميعاً ثم لا تنظرون فوالذى نفسى بيده ! لو قلتم بأجمعكم ما قالت ، لضربتكم بسيفى حتى أموت أو أقتلكم .

وكانت النتيجة لذلك أن ظهر الإسلام فى بنى خطمة بعد هذا الدرس .

وبمثل هذا الأسلوب ، أمكن الأنصار أن يقضوا على المشركين نهائياً فى المدينة .

### ١٥٤ الأنصار والمنافقون داخل المدينة

أما المنافقون : فقد ظلوا شوكة فى حلوق المسلمين عامة ، والأنصار خاصة ، ولكن الأنصار كانوا قوة خطرة ينحنى أمامها أى منافق ، وينثنى بين يديها كل من به مس من الكفر ، أو زيغ من النفاق ، فها هو ذا :

١ — **قزمان** : أحد المنافقين ، يتخلف عن الخروج مع الأنصار يوم أحد ، فيعيره نساء الأنصار قائلين له : ما أنت إلا امرأة !! خرج قومك للطعان ، وبقيت مع النسوان ، ألا تستحى لما صنعت ؟ فدخل قزمان داره محنقاً مغيظا ، فأخرج قوسه وسيفه ، وكان يعرف بالشجاعة ، وخرج يعدو حتى لحق بالمسلمين ، ووجد محمداً يسوى الصفوف ، فأخذ مكانه فى الصف الأول وكان أول من نزل المعركة ، وجعل يرسل نبله ، كأنها الرماح فى شدتها

https://archive.org/details/@user082170

وعند ما انهزم المسلمون فضّل الموت على الفرار ، فقتل نفسه بعد أن قتل من قريش سبعة ، فمر به أحد الأنصار فقال له : هنيئاً لك يا قزمان هذه الشهادة ، فقال قزمان :

إننى والله ماقاتلت على دينى ، وماقاتلت إلا خوفاً من أن تداس أحساب قومى ، وأن تقتحم قريش علينا حرمنا ، وتطأ سكننا ، وألا يرمينى قومى بالجبن والفرار .

٢— وكذلك نرى عبد الله بن أبىّ بن سلول الخزرجى ، وكان فى الجاهلية شريفاً فى قومه ، مهاباً فى جماعة اليثربيين ، لدرجة أنهم — كما تقدم — كانوا يريدون جعله كبيراً علي[illegible]نهم هيأوا له التاج الذى سيكللونه به ، فلما جا[illegible]سلام حرمه هذا الملك ، وسلبه ذلك الشرف ، وتلك الرياسة ، فعزّت نفسه ، والنفس أمارة بالسوء ، وأَنِفَ الخضوع أول الأمر ، ولكنه أسلم بعد ما وجد نفسه قد ضحى وحيداً فريداً ، نعم أسلم ... ، ولكن قلبه ظل مليئاً بالغيظ والحنق ، ظلت نفسه ملوثة بالنفاق والكره للمسلمين وللإسلام ، تدفعه اليهود للكيد تارة ، وتوسوس لنفسه بنو إسرائيل بالعداوة تارات أخر

ولكن الأنصار سيما الخزرج ، كانوا يفوتون عليه مايريد من الكيد المسلمين ، ومن التفريق بين عنصرى الأوس والخزرج ، وبين عنصرى المهاجرين والأنصار :

١ — فتراه عند ما يرجع من غزوة أحد ، ومعه حوالى ثلاثمائة من المنافقين — الذين تابعوه بعد أن خرج من المدينة — ومن بعض اليهود حلفائه ، يتركه محمد ويمضى قدماً إلى سبيله ومعه الأنصار الذين عند رجوعهم من أحد — سيما الخزرج — يطلبون من النبى أن يأمرهم بشىء يفعلونه نحو

https://archive.org/details/@user082170

ابن سلول هذا ، حرباً ، أو قتلا ، أوطرداً ، فلا يرضى الرسول بشيء من ذلك فيكتفى الخزرج بأن يحتقروه لنفاقه ، ويلعنوه لذبذبته وكيده ، ولذا نراهم يمنعونه عندما يقوم ليقول كعادته حين صلاة الجمعة ، التي تلت غزوة أحد : هـذا رسول الله بين أظهركم أيها الأنصار ! أكرمكم الله وأعزكم به ، فانصروه ، وعزروه ، واسمعـوا له ، وأطيعوا .

نعم . . . نراهم يمنعونه من ذلك ، بل يطردونه خارج المسجد طرداً قائلين له : ياعدوالله لست لهذا بأهل ، بعد أن صنعت ما صنعت !!

٢ — ونراه كذلك عند ما يرجع مع المسلمين من غزوة بنى المصطلق وهو بالطريق ، ينتهز فرصة تزاحم أنصارى ومهاجر على الماء فيقول :

أو قد فعلوها !! بعـد أن كاثرونا فى بلادنا ! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ، ليخرجن الأعز منها الأذل ، ثم أقبل على قومه قائلا : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بيلادكم ، وقاسمتموهم أموالـكم ، والله لو أمسكتم منهم ما بأيديكم ، لتحولوا إلى غير بلادكم ، فيسمع محمد ذلك ، فيؤذن فى الناس بالرحيل ، حتى يشغلهم عن الحديث فى ذلك ، ولـكن زعماء الأنصار ، بعد أن علموا بذلك ، وضعوا دمه فى يد الرسول ، يضعه حيث يشاء ، إن أراد قتله ، وأن أراد أخرجه ، . . . فلم يرض النبى بذلك .

**١٥٥ ولد يريد قتل أبيه !!**

ثم أليس هناك ما هو أروع ، من ولد يتحدى أباه على الصورة الآتية :

هذا هو عبد الله بن عبد الله بن أبىّ بن سلول الخزرجى ، ولد عبد الله كبير المنافقين السابق الذكر ، عند ما يعلم حقيقة الخبر ، وقد كان مسلماً حسن

https://archive.org/details/@user082170

الإسلام يأتى النبى ويقول له :

يا رسول الله ! بلغنى أنك تريد قتل أبى ، فإن كنت فاعلا ، فمرنى به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، لأنى أخشى أن تأمر غيرى بقتله ، فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النار ، فقال له النبى قولا ما أروعه وما أعظمه ! ! :

ولكن بل سنرفق به ، وسنحسن صحبته ، ما بقى معنا .

علم الأنصار جميعاً بهذا ، فأنكروه ، ونبذوه ، وتركوه .

نعم . . . تركه الأنصار ، لا ليحيا ، ولكن ليموت .

## ٧ — الأنصار والإسلام

١٥٦ **اللهم انا قد بلغنا الرسالة ، اللهم انا قد أدينا الأمانة ، اللهم فاشهد !**

هاهم أولاء الأنصار الآن وقد أتموا رسالتهم ، وأوضحوا للناس سياستهم ، وثبّتوا لمحمد بيعتهم ، ووكدوا للتاريخ حلفهم ، فقد ظلوا مع محمد وبجواره ، فى الضيق وفى السعة ، فالنصر فى بدر لم يبطرهم ، والضيق والشدة والحرج فى أحد لم ييئسهم ، والحصار الدامى ، والتحزيب من العرب جميعاً لم يشككهم فى صدق الدعوة ، والإيمان بمحمد كنبى ورسول .

بل زادوا إيماناً على إيمان ، عند ما كانوا هم وعيالهم ، وأموالهم ، ومدينتهم ، على شفا جرف من الاستعباد ، يوم أن تجمعت عليهم أعداؤهم ، فأتوهم من فوقهم ، ومن تحت أرجلهم ، ومن بين مدينتهم ، وهم لو دخلوها عليهم ، لظلوا لهم عبيداً ، أبد الآبدين ، ودهر الداهرين .

ولكن الأنصار صبروا وصابروا ، صبروا مع الرسول ، وصابروا أعداءه ، فأبادوا عنصر اليهود تقريباً من جزيرة العرب ، وطردوهم نهائياً من جنبات



https://archive.org/details/@user082170

المدينة ، وقضـوا على الخلافات التى كانت تظهر كل وقت وآخر بين الأوس والخزرج ، وأماتوا الفوارق التى كانت تمنعهم من أن يكونوا هم والمهاجرين أخوة فى الدين ، وفى العقيدة ، وفى الجهاد ، وأدخلوا إن طوعاً وإن كرهاً ، جميع العرب المجـاورين لمدينة الرسـول فى دين الله .

وأخيراً .. فتحوا مكة وبها بيت الله الحرام ، وكعبة إبراهيم الخليل ، الذى لا تعرف العرب سيادة إلا لمن كانت بيده ، فذلت قريش ، لـكلمة الإسلام ، ودعوة الله ، بعد أن حققوا الفتح ، الذى وعد الله به نبيه عند ما قال له :

إذا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا .

وكذلك لم يدعوا مشركى المدينة يعبثون ، ولا منافقيها بين جنباتها يعيشون ، فأبادوا الأول ، وأماتوا الآخرين .

الآن . . . وقد أحس الأنصار أنهم قد نفذوا وصية موتاهم ، الذين استشهدوا فى سبيل الإسلام ، فنفذوا وصية سعد بن الربيع الخزرجى عندما قال لهم :

أيها الأنصار !! يجب ألا يخلص إلى محمد يد العدو ، وفيكم عين تطرف .

نعم . . . هاهم أولاء الأنصار يحسون الآن ، بأنهم قد وفوا ما عليهم من عهد ، حين عاهدهم محمد على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم .

هاهم الأنصار . . . وقد ورثهم الإسلام ، بغضهم لقريش المشركة ، وما كان بينهم قبل ذلك إحن أو عداوة ، فقد أتى إليهم الرسول ليمنعوه من قريش وأذاها ، فهو طريدها الذى تآمرت على قتله ، ويعـلم الله ماذا كان يحدث لو لم تحم الأنصار دعوته ، فيأوون رسوله ، ويفتحون قلوبهم وبيوتهم بأيديهم للمسلمين المهاجرين .

https://archive.org/details/@user082170

نعم ... ها هم أولاء الأنصار ! وقد أحسوا بأن محمداً بعد فتح مكة ، يحن إلى أهله وعشيرته ، يحن إلى ذكريات صباه ، ومبعثه ، وتعبداته ، وخلواته ، فيتهامسون فيما بينهم : أن قد يظل بمكة ، تاركا المدينة التى أصبحت مدينة الرسول ، فتصل إلى آذانه همساتهم ، فيسألهم الخبر فينكرون ، فيستحلفهم ، ويستحلفهم ، وأخيراً يخبرونه بهواجسهم ، وينبئونه بأحاسيسهم ، فيقول لهم كلمته الخالدة ، التى كانت عليهم برداً وسلاماً :

هيا إلى المدينة . . . المحيا محياكم ، والممات مماتكم .

ها هم أولاء الأنصار يحق لهم أن يقولوا إذن وقد رجعوا برسول الله إلى مدينتهم :

اللهم انا قد بلغنا الأمانة ، اللهم انا أدينا الرسالة ، اللهم فاشهد .

https://archive.org/details/@user082170

# خاتمة

## الإسلام والأنصار

الآن . . . وقد انتهينا من الحديث فى هذه الأبواب السبعة ، عما قام به الأنصار نحو الدين كعقيدة ، ونحو محمد كرسول ، ونحو المسلمين كفئة مستضعفة مضطهدة ، وبعبارة أدق : فرغنا من بيان ماقدمه الأنصار للإسلام.

والآن . . . نريد أن نتحدث فى هذه الأسطر القليلة عما قدمه الإسلام نحو الأنصار ، جزاء لهم عما قدموا ، وثواباً لهم عما أجهدوا .

فإليك ما سجله التاريخ ، وما فاضت به صفحات الإسلام :

## ١ — القرآن والأنصار

نعم فالقرآن قد تحدث عنهم فى مواطن كثيرة :

ا — فالأنصار كما قال قتادة هو اسم سماهم الله به فى قوله تعالى : « كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ . . . »(١)

ب — وقد أجمع المؤرخون والمفسرون على أن قوله تعالى : «وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » إنما نزل فى حق الأنصار .

حـ — وقد وعدهم الله جنات تجرى من تحتها الأنهار ، فى قوله : والسَّابِقُونَ ٱلأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَٱلأَنْصَار ، وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ، رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْه ، وَأَعَدَّ لَهُمْ

---

(١) الاستبصار فى أنساب الأنصار خطى رقم ٣٤٩ تاريخ بدار الكتب المصرية

https://archive.org/details/@user082170

جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، ذٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ [١] .

د — وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ ٱللّٰهِ ، وَٱلَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا ، أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ .

وغير ذلك من الآيات

## ٢ — محمد والأنصار

وإليك ما سجله محمد عليه السلام للأنصار من ثناء ، وما أوجبه على المسلمين نحو ذراريهم من حق ، وما أرسله للعالم الإسلامى ، ليكون نبراسا لعقيدتهم ، نحو الذين آووه ونصروه :

ا — ٱللّٰهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هٰذِهِ ٱلْعِصَابَةُ لَا تُعْبَدْ أَبَدًا .

من حديثه لربه ، حين اشتبك الجمعان فى موقعة أحد [٢]

ب — لَا يُبْغِضُ ٱلْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِٱللّٰهِ وبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ .

هكذا رواه شعبة ، عن أبى صالح ، عن أبى سعيد الخدرى [٣]

حـ — ٱلْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ ، وَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ ٱللّٰهُ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ ٱللّٰهُ .

هكذا رواه أبو داود الطيالسى ، عن عدى الذى قال: سمعت ذلك عن البراء بن عازب [٤]

---

(١) سورة التوبة (٢) ابن الأثير ج ٢

(٣) الاستبصار . (٤) الاستبصار .

د — إِنَّ هٰذَا ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلأَنْصَارِ مِحَنَّـة ، حُبُّهُمْ إِيمَان ، وَبُغْضُهُمْ نِفَاق[١] .

هـ — ٱلأَنْصَارُ شِعَارٌ وَٱلنَّاسُ دِثَار[٢] .

و — يَا مَعْشَرَ ٱلأَنْصَار ! أَمَا لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ : جِئْتَنَا طَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ ، وَعَائِلاً فَآسَيْنَاكَ ، وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ ، وَمُكَذَّباً فَصَدَّقْنَاكَ . فَوَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْلَا ٱلْهِجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرءًا مِنَ ٱلأَنْصَار ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ ٱلأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَار .

ٱللَّهُمَّ ٱرْحَمِ ٱلأَنْصَار ! !

وَأَبْنَاءَ ٱلأَنْصَار !

وأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَار ![٣]

ز — يَا مَعْشَرَ ٱلأَنْصَار ! جَزَاكُمُ ٱللهُ أَطْيَبَ الجَزَاء ، فَإِنَّكُمْ مَا عَلِمْتُ ، أَعِفَّةٌ صُبُرٌ ، وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي أَثَرَةً فِي ٱلأَمْرِ وَٱلْقَسْمِ ، فَٱصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى ٱلْحَوْض[٤] .

---

(١) ذكره ابن عساكر فى تاريخه وبسنده ، ج ٦ ص ٨٤ طبعة دمشق .

(٢) الشعار ما ولى الجسد من اللباس ، والدثار ما فوقه ، يعنى أنهم يلوننى دون الناس — الاستبصار ص ٦ .

(٣) الطبرى وابن الأثير فى موقعة حنين

(٤) وذلك عند ما جاء أسيد بن حضير الأوسى ، يشكره على جزله العطاء لبيت من بيوت الأنصار ، كان قد أعطاه قبل ذلك قليلا — تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٥٠ طبعة دمشق .

https://archive.org/details/@user082170

ح — مرّ أبو بكر والعباس رضى الله عنهما ، فى مرض رسول الله ، بمجلس من الأنصار وهم يبكون :

أبو بكر والعباس : ما يبكيكم يا أنصار رسول الله ؟

الأنصار : ذكرنا محاسن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أبو بكر والعباس : يدخلان على النبى فى منزله ويخبرانه بذلك .

محمد : يخرج عاصباً رأسه بحاشية برده، آمراً أن يؤذن فى الناس ليجتمعوا فى المسجد ، ثم يصعد على المنبر(١) وبعد أن يحمد الله ويثنى عليه يقول :

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ ، فإنهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي(٢) ٱلَّتِي أَوَيْتُ إِلَيْهَا ، وَقَدْ قَضَوْا ٱلَّذِي عَلَيْهِمْ ؛ وَبَقِيَ ٱلَّذِي لَهُمْ ، فَأَحْسِنُوا إِلَى مُحْسِنِهِمْ ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ(٣) .

ط — ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَلِأَبْنَاءِ ٱلأَنْصَارِ وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ ٱلأَنْصَارِ(٤) .

وأخيراً . . .

يقول الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن عم النبى عليه السلام :

---

(١) ولم يصعده بعد ذلك أبداً .

(٢) أى جماعتى وخاصتى ، الذين أثق بهم ، وأعتمد عليهم . فالكرش للحيوان : ما يستقر فيه غذاؤه ، الذى يكون عليه بقاؤه ، والعيبة : وعاء أكبر من المخلاة ، يحفظ فيها الإنسان فاخر ثيابه .

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم ج ١٦ ص ٦٨ ، وأخرجه الشيخان وابن خلدون ج ٢ ص ٢٨٩ .

(٤) فى صحيح مسلم بسنده، شرح النووى ج ١٦ ص ٦٧، المطبعة المصرية سنة ٩٣٠

https://archive.org/details/@user082170

إنما الأنصار سيف قاطع    من تُصبْه ظُبة السيف هلكْ
وسيوف قاطع مضربُها    وسهام الله فى يوم الحلَكْ
نصروا الدين وآووا أهلَه    منزلٌ رحبٌ ورزق مشتركْ
وإذا الحرب تلظت نارُها    بَرَكوا فيها إذا الموت بَرَكْ(١)

***

**والى هنا . . .** يقف القلم ، لا لأن مداده قد جف ، ولا لأن الفكر قد نضب ، وإنما لينتقل من هنا فيودّع ، ويستقبل هناك فيسطّر ، الكتاب الثالث :

## أعلام الأنصار

فإلى اللقاء . . . إن شاء الله . . .

---

(٤) ابن أبى الحديد ج ٦ ص ١٤ .

https://archive.org/details/@user082170